من

قصص الأطفال

العالمية

الجزء الثالث

إعداد : محمد عبد النبي

رسوم : عبد الرحمن بكر

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/558
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا جزين
07 230195 - 00961 7 230841
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2015 - 1436 هـ

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

المحتويات

- قَبْلَ أَنْ نَحْكِيَ ... 5
- حِكَايَةُ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ ... 6
- «جِيرْدَا» فِي حَدِيقَةِ الأَزْهَارِ الْمَسْحُورَةِ ... 10
- «جِيرْدَا» فِي قَصْرِ الأَمِيرَةِ ... 14
- «جِيرْدَا» تَلْتَقِي بِاللِّصَّةِ الصَّغِيرَةِ ... 18
- فِي قَصْرِ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ ... 22
- السُّلَحْفَاةُ والْوَطَنُ ... 26
- الْحَلَّاقُ وكِتْمانُ السِّرِّ ... 30
- التِّنِّينُ ومَلِكُ الْبُحَيْرَةِ ... 34
- الْمُحَارِبُ «هِيتُو» يَقْضِي عَلَى التِّنِّينِ ... 38
- الْفَتَاةُ الْحَكِيمَةُ ... 42
- نِهَايَةُ الظُّلْمِ ... 46
- كِتَابُ السِّحْرِ ... 50
- فَتَاةُ الْكُمَّثْرَى ... 54
- «بَنَفْسَجُ» تَعُودُ إِلَى أَهْلِهَا ... 58

- «بَنَفْسَجُ» وكَنْزُ السَّاحِرَاتِ ... 62
- سَعِيدُ بْنُ نِزَارٍ ... 66
- «سَعِيدٌ» وابْنُ كَبِيرِ اللُّصُوصِ ... 70
- «سَعِيدٌ» يَهْرُبُ مِنْ قَلْعَةِ اللُّصُوصِ ... 74
- «سَعِيدٌ» و «سَنْهُورُ» يَنْجُوَانِ مِنَ الْمَوْتِ ... 78
- حِكَايَةُ الثَّعْلَبِ والْغُرَابِ الأَحْمَقِ ... 82
- حِكَايَةُ الذِّئْبِ الْغَبِيِّ ... 86
- الطَّاوُوسُ الْمَغْرُورُ ... 90
- الْقِرْدُ «جُولُو» وزَعِيمُ التَّماسِيحِ ... 94
- رَبِيعٌ يَا نَدَى وأَلْحَانُ الْكَمَانِ ... 98
- التَّاجِرُ الْبَخِيلُ ونُكْرَانُ الْجَمِيلِ ... 102
- ظَهَرَ الْحَقُّ وزَهَقَ الْبَاطِلُ ... 106
- النَّسَّاجُ اللَّبِيبُ ... 110
- جَبَلُ الشُّيُوخِ ... 114
- أُسْطُورَةُ التَّوْأَمَيْنِ ... 118
- عَوْدَةُ التَّوْأَمَيْنِ ... 122
- أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ ... 126

قَبْلَ أَنْ نَحْكِيَ

لَيْسَ هُنَاكَ أَجْمَلُ مِنْ حِكَايَةٍ مُمْتِعَةٍ وَشَائِقَةٍ وَظَرِيفَةٍ، يُمْكِنُ للمَرْءِ أَنْ يَحْمِلَهَا بداخِلِهِ، في قَلْبِهِ وعقْلِهِ، عَلَى مَدَى الأَعْوَامِ، فَيَحْكِيَهَا لأولَادِهِ، ومن بَعْدِهِمْ لأَحفَادِهِ. وَهَكَذا تعِيشُ الحِكَايَةُ رِحْلَتَهَا الطويلَةَ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ.

هَذَا هُوَ الكتَابُ الثَّالِثُ مِنْ قِصَصِ الأَطْفَالِ العَالَمِيَّةِ، وَالَّذِي يقدِّمُ لَكُمْ حِكايَاتٍ عالمِيَّةً، مِنْ جمِيعِ بِلَادِ الدُّنْيَا، وبعْدَ أَنِ اقتصَرَ الْجُزْءُ الأَوَّلُ والثاني عَلَى الحِكَايَاتِ المشْهُورَةِ الَّتِي يعرِفُهَا الْجمِيعُ، فإنَّ هَذَا الجُزْءَ بَحَثَ في بِلَادِ الشَّرْقِ الأَقْصَى وفي بِلَادِ إِفْرِيقيَا؛ ليَجْمَعَ بَيْنَ دَفَّتَيْهِ مجمُوعَةً مِنْ أَغْرَبِ المُغامَرَاتِ وأمتعِهَا، جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ بَعْضِ قصَصِ الكاتِبِ المشْهور هانز كريستيان آندرسون، أهمِّ وأبرَزِ مَنْ كتَبَ للأَطْفَالِ عَلَى مَدَى العصُورِ، مِثْل حِكايَتِهِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي نقدِّمُهَا في مُسْتَهَلِّ هَذَا الْكِتَابِ ـ حِكَايَةِ مَلِكَةِ الجَلِيدِ ـ هَذَا إِلَى جَانِبِ بَعْضِ الحِكَايَاتِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ في التُّرَاثِ العَالَمِيِّ للأطفَالِ، وَكَذَلِكَ حِكَايَاتٍ مِنْ عَالَمِ الحيوَانَاتِ والطُّيُورِ.

نَدْعُوكُمُ الآنَ لفتْحِ البَابِ السِّحْرِي الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى عَالَمِ الأَحْلَامِ والسِّحْرِ، وَالضَّحِكَاتِ والمَعانِي، بَابِ الحِكايَاتِ الَّتِي لا تُنْسَى.

اقلِبُوا الصَّفْحَةَ ينفتِحِ البَابُ السِّحْرِيُّ.

حِكَايَةُ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ

تدُورُ هذِهِ الحِكَايَةُ فِي بِلَادِ الشَّـمَالِ البَعِيدَةِ، تِلْـكَ البِلَادِ الَّتِي تُمْطِرُ فِيهَا السَّـمَاءُ ثُلُوجًا كُلَّ عَامٍ مَعَ مَقْدَمِ فَصْلِ الشِّـتَاءِ. وَتَبْدَأُ مِنْ سَـطْحِ إِحْدَى البِنَايَاتِ، فِي مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ وَمُزْدَحِمَةٍ بِالسُّـكَّانِ. كَانَ يَعِيشُ عَلَى سَـطْحِ تِلْكَ البِنَايَةِ وَلَدٌ صَغِيرٌ اسْمُهُ «كاي» وَبِنْتٌ صَغِيرَةٌ اسْمُهَا «جيردا»، لَمْ يَكُونَا أَخًا وَأُخْتًا، وَلَكِنَّهُمَا كَانَا مِثْلَ الْأَخَوَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ.

وَعِنْدَ كُلِّ أَصِيلٍ كَانَتْ جَدَّةُ «كاي» تَحْكِي لَهُمَا الْحِكَايَاتِ الْغَرِيبَةَ وَالْعَجِيبَةَ، والْمُمْتِعَةَ لِلْغَايَةِ مَهْمَا كَانَتْ مُخِيفَةً.

وَمِنْ بين مَا كَانتِ الْجَدَّةُ تَحْكِيهِ لَهُمَا حِكَايَاتٌ عَنْ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ الشِّرِّيرَةِ الْقَاسِيَةِ.

انْتَهَى فَصْـــلُ الرَّبِيعِ، وَذَبُلَتْ بَعْضُ أَزْهَارِ الأُصُصِ عَلَى السَّطْحِ، وَصَارَ النَّاسُ يَلُوذُونَ بِبُيُوتِهِمْ وَيَحْتَمُونَ بِجُدْرَانِهَا مِنَ الثُّلُوجِ وَالرِّيحِ الْبَارِدَةِ. وفِي هَذَا الْوَقْتِ مِنْ كُلِّ عَامٍ كَانَ يَحْلُو لِمَلِكَةِ الْجَلِيدِ أَنْ تَخْرُجَ بِعَرَبَتِهَا الَّتِي تَجُرُّهَا الْوُعُولُ ذَاتُ الْقُرونِ، مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ إِلَى أَدْنَاهَا، فِي رِحْلَةٍ تَسْتَمِرُّ طَوَالَ فَصْلِ الشِّتَاءِ، إِلَى أَنْ تَعُودَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى قَصْرِهَا البَعِيدِ.

وفِي هَـــذَا الْعَامِ أَمَرَتْ مَلِكَةُ الْجَلِيدِ سَاحِرًا شِـــرِّيرًا مِنْ أَتْبَاعِهَا أَنْ يَصْنَعَ لَهَا مِرْآةً مَسْـــحُورَةً، إِذَا نَظَرَ فِيهَا الإِنْسَانُ لَا يَرَى إِلَّا كُلَّ مَا هُوَ قَبِيحٌ وَلَا يَرَى أَيَّ شَـــيْءٍ جَمِيلٍ فِي الْعَالَمِ، وَبِذَلِكَ يَغْضَبُ مِنْ نَفْسِـــهِ وَمِنَ النَّاسِ جَمِيعًا. وَقَدْ صَنَعَ لَهَا ذَلِكَ السَّاحِرُ الشِّرِّيرُ مَا أَرَادَتْهُ، وَعِنْدَئِذٍ حَـطَّمَتْ مَلِكَةُ الْجَلِيدِ الْمِرْآةَ، فَصَارَتْ شَظَايَا صَغِيرَةً لِلْغَايَةِ، كُلُّ شَظِيَّةٍ مِنْهَا بِحَجْمِ حَبَّةِ الرَّمْلِ، ثُمَّ نَفَخَتْهَا فِي طَرِيقِهَا أَمَامَهَا؛ لِتُصِيبَ بِهَا مَنْ يَكُونُ فِي طَرِيقِهَا مِنَ النَّاسِ.

رَاحَتْ شَـظَايَا الْمِرْآةِ تَطِيرُ فِي الْهَـوَاءِ أَمَامَهَا دُونَ أَنْ يَتَمَكَّنَ أَحَدٌ مِنْ رُؤْيَتِهَا لِصِغَرِ حَجْمِهَا، وَعِنْدَمَا كَانَتْ شَظِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّظَايَا تَدْخُلُ إِلَى عَيْنِ أَحَدِهِمْ لَمْ يَكُنْ يَشْـعُرُ إِلَّا بِأَلَمٍ خَفِيفٍ، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَرَى مِنْ حَوْلِهِ إِلَّا كُلَّ مَا هُوَ قَبِيحٌ، وَلَا يَسْـتَطِيعُ رُؤْيَةَ أَيِّ شَيْءٍ جَمِيلٍ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَمَلَّكُهُ الْغَضَبُ والنِّقْمَةُ، وَهِيَ مَشَـاعِرُ يُمْكِنُهَا أَنْ تُفْسِدَ حَيَاةَ أَيِّ إِنْسَانٍ وَحَيَاةَ مَنْ حَوْلَهُ أَيْضًا.

قَبْلَ أَنْ تَمُرَّ مَلِكَةُ الْجَلِيدِ بِالشَّـارِعِ الَّذِي يَسْـكُنُ فِيـهِ «كاي» وَصَدِيقَتُهُ «جيردا» كَانَتِ الشَّـظِيَّةُ قَدْ غَيَّرَتْ حَيَاتَهُ تَمَامًـا، فَلَمْ يَعُدْ يُحِبُّ الزُّهُورَ وَلَا اللَّعِبَ الْبَرِيءَ الطَّيِّبَ وَلَا الْحِكَايَاتِ الَّتِي تَرْوِيهَا جَدَّتُهُ. وَصَارَ «كاي» يُكْثِرُ مِنْ نُزُولِهِ إِلَى الشَّارِعِ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَجْلِسَ مَعَ «جيردا» لِيَقْرَآ كَمَا كَانَا مُعْتَادَيْنِ. وَفِي الشَّارِعِ يَلْتَـقِي بِرِفَاقِ السُّوءِ وَيَقْضُونَ طَوَالَ النَّهَارِ فِي التَّزَلُّجِ عَلَى الْجَلِيدِ أَوْ إِلْقَاءِ كُرَاتِ الثَّـلْجِ عَلَى الْمَارَّةِ مِنَ الْعَجَائِزِ أَوْ صِغَارِ السِّنِّ. كَانَتْ «جيردا» لا تَكَادُ تُصَدِّقُ أَنَّ هَذَا هُوَ نَفْسُـهُ «كاي» صَـدِيقُ عُمْرِهَا، وَتَتَعَجَّـبُ كَيْفَ تَغَيَّرَ هَكَـذَا بَيْنَ يَـوْمٍ وَلَيْـلَةٍ، وَتُفَكِّـرُ فِي أَنَّهُ

لابُدَّ قَدْ أَصَابَهُ مَرَضٌ غَامِضٌ أَوْ سِحْرٌ مَجْهُولٌ.

وَلَكِنَّ الأَمْرَ لَمْ يَتَوَقَّفْ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، فَحِينَ مَرَّتْ مَلِكَةُ الْجَلِيدِ بِالشَّارِعِ الَّذِي يَسْكُنُ فِيهِ «كاي» كَانَ وَاقِفًا مَعَ صِبْيَةٍ آخَرِينَ يَلْهُونَ بِالثُّلُوجِ، وَعِنْدَمَا رَأَوْا عَرَبَتَهَا الْفِضِّيَّةَ الَّتِي تَجُرُّهَا الْوُعُولُ ذَاتُ الْقُرُونِ انْبَهَرُوا بِهَا وَحَبَسُوا أَنْفَاسَهُمْ، بَلْ وَجَرَوْا خَلْفَهَا حِينَ شَجَّعَهُمْ تَبَاطُؤُ حَرَكَةِ الْعَرَبَةِ عَلَى أَنْ يَتَعَلَّقُوا بِهَا مِنَ الْخَلْفِ، وَرَاحَتِ الْعَرَبَةُ الْفِضِّيَّةُ تَأْخُذُهُمْ مَعَهَا فِي رِحْلَةٍ بِشَوَارِعِ وَطُرُقَاتِ مَدِينَتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ خَالِيَةً مِنَ النَّاسِ وَكَأَنَّهَا مَدِينَةٌ لِلْأَشْبَاحِ، وَعِنْدَمَا بَدَأَتِ الْعَرَبَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الطُّرُقَاتِ الْمُقْفِرَةِ بَدَأَ الصِّبْيَةُ يَنْزِلُونَ عَنْهَا وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ؛ لِلْعَوْدَةِ إِلَى أَهْلِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَقَدْ نَزَلُوا جَمِيعًا مَا عَدَا صَبِيًّا وَاحِدًا ظَلَّ مُتَشَبِّثًا بِالْعَرَبَةِ، حَيْثُ سَحَرَتْهُ مَلِكَةُ الْجَلِيدِ وَقَرَّرَتْ أَنْ يَكُونَ هُوَ غَنِيمَتَهَا فِي رِحْلَتِهَا هَذَا الشِّتَاءَ، وَهَذَا الصَّبِيُّ كَانَ هُوَ «كاي». لَكِنَّ الْحِكَايَةَ لَمْ تَنْتَهِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ إِنَّهَا قَدْ بَدَأَتْ.

«جِيرْدَا» فِي حَدِيقَةِ الْأَزْهَارِ الْمَسْحُورَةِ

انْتَهَـى النَّهَارُ وَلَمْ يَعُدْ «كَايْ» إِلَى مَنْزِلِهِ، وَفِي النَّهَارِ التَّالِي رَاحَ أَبَوَاهُ يَبْحَثَانِ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَسْأَلَانِ عَنْهُ كُلَّ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُمُ الصِّبْيَةُ الْأَشْرَارُ ـ رِفَاقُهُ فِي اللَّعِبِ ـ إِنَّهُ قَدْ ظَلَّ مُتَشَبِّثًا بِعَرَبَةٍ فِضِّيَّةٍ تَقُودُهَا امْـرَأَةٌ غَرِيبَةُ الشَّكْلِ حَتَّى مُنْعَطَفِ النَّهْرِ عِنْدَ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ.

مَضَى أُسْـبُوعٌ وَأَكْثَرُ حَتَّى يَئِسَ الْأَبُ مِنْ عَوْدَةِ ابْنِهِ، وَجَفَّتِ الدُّمُوعُ فِي عَيْنِ أُمِّهِ المِسْكِينَةِ وَجَدَّتِهِ الَّتِي أَحَبَّتْهُ كَثِيرًا، حَتَّى فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي كَانَ

فِيهَا قَاسِيًا وَغَيْرَ مُطِيعٍ. وَحْدَهَا «جيردا» ظَلَّتْ تَبْحَثُ عَنْ جَارِهَا وَصَدِيقِهَا، وَلَـمْ تَيْأَسْ مِـنْ عَـوْدَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

رَاحَتْ «جيردا» تَسْـأَلُ الْجَمِيعَ عَنِ الْعَرَبَةِ الْفِضِّيَّةِ وَعَنِ النَّهْرِ وَعَنْ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ، وَهَلْ هِيَ حَقِيقَةٌ أَمْ خَيَالٌ؟ وَقَرَّرَتِ الْفَتَاةُ الْمُخْلِصَةُ أَنْ تَخْرُجَ لِلْبَحْثِ عَنْ صَدِيقِهَا عِنْدَمَا يَنْتَهِي فَصْلُ الشِّـتَاءِ، وَمَعَ أَوَّلِ بُرْعُمٍ ظَهَرَ عَلَى الأَغْصَانِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ، وَمَعَ أَوَّلِ عُصْفُورٍ سُـنُونُو رَاحَ يُرَفْرِفُ وَيُزَقْزِقُ فِي السَّمَاءِ، جَمَعَتْ «جيردا» بَعْضَ الطَّعَامِ وَأَخْبَرَتْ جَدَّةَ «كاي» أَنَّهَا ذَاهِبَةٌ لِلْبَحْثِ عَنْهُ، وَلَنْ تَعُودَ إِلَّا بِهِ، بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ أُسْبُوعٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ حَتَّى سَنَةٍ.

أَخَذَتْ «جيردا» تَسِيرُ فِي الْمَدِينَةِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نِهَايَتِهَا، عِنْدَ مُنْحَنَى النَّهْرِ، وَهُنَاكَ تَوَقَّفَتْ مُتْعَبَةً لَا تَدْرِي إِلَى أَيْـنَ تَذْهَبُ. كَانَ اللَّيْلُ قَدْ حَلَّ وَأَظْلَمَتِ السَّـمَاءُ، فَقَرَّرَتْ أَنْ تَنَامَ فِي قَارِبٍ صَغِيرٍ كَانَ رَاسِـيًا إِلَى جَانِبِ الضِّفَّةِ، وَوَضَعَتْ أَشْـيَاءَهَا وَصُرَّةَ مَلَابِسِـهَا تَحْتَ رَأْسِهَا مِثْلَ وِسَـادَةٍ، وَنَامَتْ فِي الْقَارِبِ الصَّغِيـرِ، وَقَالَتْ إِنَّهَا فِي الصَّبَاحِ سَوْفَ تُكْمِـلُ رِحْلَتَهَا، بَحْثًا عَنْ صَدِيقِهَا «كاي».

لَكِنَّ مَوْجَ النَّهْـــرِ أَخَـذَ يَهُزُّ القَارِبَ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ حَتَّى انْفَكَّ الْحَبْلُ الَّذِي يَرْبِطُهُ بِشَـجَرَةٍ عَلَى الشَّـاطِئِ، وَجَرَفَ التَّيَّارُ القَارِبَ الصَّغِيرَ بَيْنَمَا «جيردا» نَائِمَةٌ بِدَاخِلِهِ نَوْمًـا عَمِيقًا. وَطَوَالَ اللَّيْلِ كَانَ النَّهْرُ يَسْـحَبُ القَارِبَ حَتَّى أَوْشَكَ الْفَجْرُ أَنْ يَطْلُعَ، فَوَصَلَ إِلَى حَدِيقَةٍ غَـرِيبةٍ، كَـانَتْ صَـاحِبَتُهَا امْـرَأَةً عَجُوزًا تَعِيشُ وَحْدَهَا وَتُتْقِنُ بَعْضَ الْأَعْمَالِ السِّحْرِيَّةِ.

كَانَـتِ الْمَرْأَةُ صَاحِبَةُ الْحَدِيقَةِ وَاقِفَةً فِي هَـذَا الصَّبَاحِ الْمُبَكِّرِ تَمْلَأُ بَعْضَ الجِـرَارِ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ قَبْـلَ أَنْ يَتَلَوَّثَ، وَعِنْدَمَـا رَأَتِ القَارِبَ وَبِهِ «جيردا» الْجَمِيلَةُ وَهِيَ نَائِمَةٌ مِثْلَ مَلَاكٍ طَاهِرٍ، سَـحَبَتِ القَارِبَ بِعُكَّازِهَا الْخَشَـبِيِّ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنَ الشَّاطِئِ، فَأَيْقَظَتْ «جيردا» وَأَخَذَتْهَا مَعَهَا إِلَى مَنْزِلِهَا الصَّغِيرِ الْجَمِيلِ. حَكَتْ لَهَا «جيردا» حِكَايَتَهَـا وَرَغَّبَتْهَا فِي الْبَحْثِ عَنْ صَدِيقِ طُفُولَتِهَا، فَأَدْرَكَتِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ أَنَّهَا لَابُدَّ أَنْ تَجْعَلَ «جيردا» تَنْسَـى هَذِهِ الحِكَايَةَ كُلَّهَا، فَتَنَاوَلَتْ مُشْطَهَا الخَشَـبِيَّ العَتِيقَ وَرَاحَتْ تُصَفِّفُ شَعْرَ «جيـردا» بِـهِ، وَبِذَلِـكَ كَانَتْ «جيردا» تَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ بِهَذَا الْمُشْطِ.

وَهَكَذَا مَرَّتِ الأَيَّامُ، وَ«جيردا» تَلْهُـو وَتَلْعَبُ فِي حَدِيقَـةِ الأَزْهَارِ

المَسْــحُورَةِ، وَلَا تَدْرِي هَلْ هِيَ فِي الصَّيْفِ أَمِ الشِّــتَاءِ؛ لأَنَّ حَدِيقَةَ الْعَجُوزِ كَانَتْ تُوجَدُ بِهَا الزُّهُــورُ وَالْفَاكِهَةُ الْمُخْتَلِفَةُ طَــوَالَ الْعَامِ. وَفِي كُلِّ صَبَاحٍ كَانَتِ الْعَجُوزُ تُصَفِّفُ شَعْرَ «جِيرْدَا» بِمُشْطِهَا الْخَشَبِيِّ حَتَّى لَا تَتَذَكَّرَ شَيْئًا، إِلَى أَنْ جَاءَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ اسْتَغْرَقَتِ الْعَجُوزُ فِي النَّوْمِ، وَصَحَتْ «جِيرْدَا» مُبَكِّرًا وَخَرَجَتْ إِلَى الْحَدِيقَةِ، وَرَاحَتْ تَلْهُو بَيْنَ الزُّهُورِ وَالثِّمَارِ وَالْأَشْــجَارِ، حَتَّى رَأَتْ شَــجَرَةً صَغِيرَةً تُزْهِرُ وُرُودًا بَلَدِيَّةً حَمْــرَاءَ، وَهُنَا رَاحَتْ تَبْكِي وَهِيَ لا تَدْرِي سِرَّ بُكَائِهَا، وَأَخَذَتْ تَتَذَكَّرُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ، وَلِمَاذَا خَرَجَتْ مِنْ مَــنْزِلِهَا. وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَدْرِي مَاذَا تَفْعَلُ، حَتَّى جَاءَهَا الْغُرَابُ الذَّكِيُّ الَّذِي يُتْقِنُ لُغَاتِ الْبَشَرِ كُلَّهَا.

«جِيرْدَا»
فِي قَصْرِ الْأَمِيرَةِ

كَانَ الْغُرَابُ يَــدُورُ فِي الْحَدَائِقِ وَالْحُقُولِ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْفَجْرِ، قَبْلَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ.

وَعِنْدَمَا رَأَى الفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ تَبْكِي فِي حَدِيقَةِ الْأَزْهَارِ السِّحْرِيَّةِ اقْتَرَبَ مِنْهَا وَعَرَّفَهَا بِنَفْسِــهِ بِكُلِّ لَبَاقَةٍ؛ لأَنَّهُ كَانَ يُجِيدُ لُغَاتِ الْبَشَــرِ كُلِّهَا، وَيَتَكَلَّمُ مِثْلَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ. وَحَكَتْ لَهُ «جِيرْدَا» كُلَّ مَا جَرَى لَهَا مِنَ الشِّتَاءِ الْمَاضِي.

طَلَبَ مِنْهَــا الْغُرَابُ أَنْ تَصِفَ لَــهُ هَيْئَةَ «كَايْ» وَمَلَامِحَــهُ، فَوَصَفَتْهُ لَهُ، وَهُنَــا قَالَ الْغُرَابُ إِنَّهُ يَعْــرِفُ أَيْنَ يُوجَدُ صَدِيقُهَــا الْآنَ، وَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ نَظَرًا لِحِكْمَتِــهِ وَلَبَاقَتِهِ يَعْمَلُ فِي بَلَاطِ أَمِيرَةٍ ثَرِيَّــةٍ وَرَفِيعَةِ الْمَقَامِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَمِيرَةَ كَانَــتْ تَعْقِدُ مُسَــابَقَاتٍ فِي الْكَلَامِ وَالشِّــعْرِ وَالْحِكْمَةِ لِلشَّــبَابِ وَالأُمَرَاءِ وَالْفُرْسَــانِ الرَّاغِبِينَ فِي الارْتِبَاطِ بِهَــا. وَلَمْ يَنْجَحْ فِي هَذِهِ الْمُسَــابَقَاتِ أَيُّ

شَخْصٍ إِلَّا مُنْذُ وَقْتٍ قَرِيبٍ، عِنْدَمَا دَخَلَ الْقَصْرَ شَابٌّ صَغِيرُ السِّـــنِّ رَثُّ الثِّيابِ، وَلِحِذَائِهِ صَـــوْتٌ يَدُقُّ عَلَى الْأَرْضِ، فَفَازَ بِقَلْـــبِ الْأَمِيرَةِ عِنْدَمَا فَازَ فِي مُسَـــابَقَاتِ الْكَلَامِ وَالْمَنْطِقِ وَالْحِكْمَـــةِ. وَهُنَا تَأَكَّدَتْ «جِيرْدَا» مِنْ أَنَّ هَذَا هُوَ «كَايْ»؛ لِأَنَّ حِذَاءَهُ كَانَ يَدُقُّ عَلَى الْأَرْضِ وَيُصْدِرُ صَوْتًا ضَخْمًا. فَاتَّفَقَتْ مَعَ الْغُرَابِ أَنْ يَطِيـــرَ أَمَامَهَا وَيَقُودَهَا إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرَةِ.

وَصَلَا إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرَةِ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَكَانَتْ «جِيرْدَا» فِي شَـــوْقٍ بَالِغٍ لِرُؤْيَةِ صَدِيقِهَا الْقَدِيمِ، بَعْدَ أَنْ صَارَ أَمِيرًا، وَلِهَذَا أَلَحَّتْ عَلَى الْغُرَابِ أَنْ يَقُودَهَا إِلَى جَنَاحِ نَوْمِ الْأَمِيرِ وَالْأَمِيرَةِ. فَعَارَضَ ذَلِكَ بِشِدَّةٍ لِأَنَّ هَذَا مَمْنُوعٌ، فَالْحُرَّاسُ قَـــدْ يُؤْذُونَهَا. فَرَاحَتْ تُلِحُّ عَلَيْهِ وَتَبْكِي، فَوَصَفَ لَهَـــا الطَّرِيقَ إِلَى جَنَاحِ النَّوْمِ وَتَرَكَهَا لِحَظِّهَا.

بَيْنَ جَنَبَاتِ وَرَدْهَاتِ الْقَصْرِ الْفَسِيحَةِ سَارَتْ «جِيرْدَا» الصَّغِيرَةُ الشُّجَاعَةُ وَهِيَ تَتَحَسَّسُ طَرِيقَهَا بَيْنَ شُعْلَاتٍ مُعَلَّقَةٍ قُرْبَ الْجُدْرَانِ. وَأَخِيرًا بَلَغَتْ جَنَاحَ نَوْمِ الْأَمِيرِ وَالْأَمِيرَةِ، وَفَتَحَتِ الْبَابَ بِهُدُوءٍ؛ حَتَّى لَا تُوقِظَ الْحَارِسَيْنِ النَّائِمَيْنِ، وَتَسَلَّلَتْ إِلَى دَاخِلِ الْغُرْفَةِ. كَانَتِ الْأَمِيرَةُ الْجَمِيلَةُ نَائِمَةً عَلَى فِرَاشٍ مِنَ الذَّهَبِ وَمُغَطًّى بِالْحَرِيرِ، وَكَانَ الْأَمِيرُ الشَّابُّ الذَّكِيُّ نَائِمًا عَلَى فِرَاشٍ مِنَ الْفِضَّةِ. اقْتَرَبَتْ «جِيرْدَا» مِنْ فِرَاشِ الْأَمِيرِ وَهِيَ غَيْرُ مُتَأَكِّدَةٍ إِنْ كَانَ هُوَ نَفْسُهُ «كَايْ» أَمْ لَا، وَتَنَاوَلَتْ شُعْلَةً مِنْ أَحَدِ الْأَرْكَانِ وَاقْتَرَبَتْ مِنْ فِرَاشِهِ، فَفُوجِئَتْ بِأَنَّ الْأَمِيرَ شَخْصٌ آخَرُ تَمَامًا غَيْرُ «كَايْ»، وَهُنَا أَوْشَكَتِ الشُّعْلَةُ أَنْ تَقَعَ مِنْ يَدِهَا، فَصَرَخَتْ خَائِفَةً، فَصَحَا عَلَى صَرْخَتِهَا الْأَمِيرُ، وَمِنْ بَعْدِهِ الْأَمِيرَةُ، ثُمَّ صَحَا بِالطَّبْعِ الْحُرَّاسُ وَالْفُرْسَانُ وَالْحَاشِيَةُ وَالْخَدَمُ وَجَمِيعُ مَنْ بِالْقَصْرِ مِنْ طُيورٍ وَحَيَوَانَاتٍ.

تَمَّ إِلْقَاءُ الْقَبْضِ عَلَى «جِيرْدَا» بِتُهْمَةِ مُحَاوَلَةِ قَتْلِ الْأَمِيرِ الشَّـــابِّ، وَحَرْقِهِ بِالنَّارِ وَهُوَ نَائِمٌ، فَوُضِعَتْ فِي السِّجْنِ لِتَتِمَّ مُحَاكَمَتُهَا فِي الصَّبَاحِ التَّالِي. وَبَيْنَمَا كَانَـــتْ فِي زِنْزَانَتِهَا تَبْكِي، كَانَ الْغُرَابُ يُحَـــاوِلُ أَنْ يُقْنِعَ الْأَمِيرَةَ الَّتِي تَحْتَرِمُهُ وَتَثِقُ بِرَأْيِهِ أَنَّ «جِيرْدَا» صَبِيَّةٌ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي دَفَعَهَا لِلْمَجِيءِ إِلَى هُنَا بَحْثًا عَنْ صَدِيقِهَا الَّذِي ضَاعَ مُنْذُ زَمَنٍ.

رَقَّ لَهَا قَلْبُ الْأَمِيرَةِ وَالْأَمِيرِ وَأَخْرَجَاهَا مِنْ زِنْزَانَتِهَا، وَاسْتَمَعَا لِحِكَايَتِهَا. وَعِنْدَمَا وَصَفَتْ لَهُمْ هَيْئَةَ «كَاي» وَمَلَامِحَهُ، تَذَكَّرَ الْأَمِيرُ الشَّابُّ أَنَّهُ رَأَى هَذَا الْوَلَدَ نَفْسَهُ مُتَشَـــبِّثًا بِعَرَبَةِ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ فِي الشِّتَاءِ الْمَاضِي. وَأَكَّدَ لِـ«جِيرْدَا» أَنَّها لَنْ تَسْتَطِيعَ الْوُصُولَ إِلَيْه مَادَامَ قَدْ ذَهَبَ مَعَ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ إِلَى آخِرِ حُدُودِ الْأَرْضِ، فِي الْقُطْبِ الشَّـــمَالِيِّ، وَمَادَامَتْ قَدِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ وَحَبَسَتْهُ فِي قَصْرِهَا الْمَصْنُوعِ مِنَ الْجَلِيدِ.

وَهَكَذَا اسْتَعَدَّتْ «جِيرْدَا» لِمُوَاصَلَةِ رِحْلَتِهَا.

«جِيرْدَا» تَلْتَقِي بِاللِّصَّةِ الصَّغِيرَةِ

مَنَحَتِ الْأَمِيرَةُ لِـ«جيرْدَا» ثِيَابًـــا فَاخِرَةً ثَقِيلَةً، وَأَهْدَتْهَا حِذَاءً وَقُفَّازَيْنِ مِنَ الْفَرْوِ، وَعَرَبَةً صَغِيـــرَةً يَقُودُهَا حُوذِيٌّ وَمَعَهُ اثْنَانِ مِنَ الْخَدَمِ، وبَعْضَ الطَّعَامِ الَّـــذِي يَتَزَوَّدُونَ بِهِ لِلرِّحْلَةِ إِلَى الْقُطْبِ الشَّـــمَالِيِّ، حَيْثُ قَصْـــرُ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ الْمُتَجَمِّدِ. غَيْرَ أَنَّ الرِّحْلَةَ لَمْ تَمْضِ عَلَى مَا يُرَامُ؛ فَسُـــرْعَانَ مَا قَطَعَ مَجْمُوعَةٌ مِـــنَ اللُّصُوصِ طَرِيقَ الرِّحْلَةِ، وَجَرَحُوا الْحُوذِيَّ وَطَـــارَدُوا الْخَادِمَيْنِ حَتَّى فَرَّا هَارِبَيْنِ، وَفَزِعَتْ «جِيرْدَا» الْمِسْـــكِينَةُ حِينَ أَشْـــهَرَتْ لِصَّةٌ قَبِيحَةٌ عَجُوزٌ خِنْجَرَهَا فِي وَجْهِهَا وَأَوْشَـــكَتْ أَنْ تَذْبَحَهَا، لَـــوْلَا أَنْ تَحَرَّكَتِ ابْنَتُهَا اللِّصَّةُ الصَّغِيرَةُ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَمَامًا وَشَلَّتْ حَرَكَتَهَا وَهِيَ تَقُولُ:

«كَلَّا، كَلَّا، لَا تَقْتُلِيهَا، فَهِيَ أَمِيرَةٌ صَغِيرَةٌ مِثْلُ الْأَمِيرَاتِ الَّتِي تَحْكِي عَنْهُنَّ الْحِكَايَاتُ. دَعِيهَا لِأَلْعَبَ بِهَا، وَلَنْ أَجْعَلَهَا تَهْرُبُ، وَسَوْفَ أَحْبِسُهَا مَعَ الْحَيَوانَاتِ الْأَلِيفَةِ فِي الْقَلْعَةِ».

اسْتَوْلَى اللُّصُوصُ عَلَى الْعَرَبَةِ بِكُلِّ مَا فِيهَا، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الْحِصَانَيْنِ وَعَلَى مَلَابِسِ الْحُوذِيِّ. وَقَالَتِ اللِّصَّةُ الصَّغِيرَةُ لِـ«جِيرْدَا»، بَعْدَ أَنْ عَادَ الْجَمِيعُ إِلَى قَلْعَةِ اللُّصُوصِ فِي الْمَسَاءِ:

«سَوْفَ تُعْطِينَنِي هَذَا الْحِذَاءَ الْمَصْنُوعَ مِنَ الْفَرْوِ، وَهَذَيْنِ الْقُفَّازَيْنِ أَيْضًا، لِكَيْ لَا أَجْعَلَ أُمِّي تَذْبَحُكِ».

وَرَاحَتْ تُرِيهَا الْحَمَامَ الَّذِي تَحْبِسُهُ وَتَنْتِفُ لَهُ رِيشَهُ؛ لِتَتَسَلَّى بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ! وَالْغَزَالَ الْأَحْمَرَ الْجَمِيلَ الَّذِي تَشُكُّهُ بِسِنِّ السِّكِّينِ كُلَّمَا حَلَا لَهَا ذَلِكَ! وَعِنْدَهَا كَانَ الْغَزَالُ يَتَقَافَزُ وَيَتَأَلَّمُ، واللِّصَّةُ الصَّغِيرَةُ تَضْحَكُ مُعْجَبَةً بِمَا يَفْعَلُهُ!!

وَعِنْدَ وَقْتِ النَّوْمِ أَمَرَتِ اللِّصَّةُ الصَّغِيرَةُ «جِيرْدَا» أَنْ تَحْكِيَ لَهَا حِكَايَتَهَا، لَكِنَّهَا سُرْعَانَ مَا اسْتَغْرَقَتْ فِي النَّوْمِ، قَبْلَ أَنْ تُكْمِلَ «جِيرْدَا» حِكَايَتَهَا، وَرَاحَتْ «جِيرْدَا» تَبْكِي لأَنَّهَا صَارَتْ سَجِينَةً وَلُعْبَةً بَيْنَ يَدَيْ تِلْكَ الْفَتَاةِ الْقَاسِيَةِ الْغَرِيبَةِ. سَمِعَ الْغَزَالُ الْأَحْمَرُ بُكَاءَهَا فَرَقَّ قَلْبُهُ لَهَا، وَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا قَائِلًا إِنَّهُ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَقُودَهَا إِلَى هُنَاكَ، لَوِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُقْنِعَ اللِّصَّةَ الصَّغِيرَةَ بِأَنْ تُطْلِقَ سَرَاحَهُ، فَاتَّفَقَتْ مَعَهُ عَلَى أَنْ تُحَاوِلَ الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ صَبَاحِ الْغَدِ.

وَمَعَ الْوَقْتِ رَاحَتْ «جِيرْدَا» تُعَلِّمُ اللِّصَّةَ الصَّغِيرَةَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ، وَفُنُونَ التَّحَدُّثِ، وَمَهَارَةَ اكْتِسَابِ الْأَصْدِقَاءِ، وَكُلَّ مَا يَلْزَمُ صَبِيَّةً مِثْلَهَا لِتَصِيرَ مُهَذَّبَةً وَمَحْبُوبَةً. وَمَعَ الْأَيَّامِ تَغَيَّرَتِ اللِّصَّةُ الصَّغِيرَةُ، وَلَمْ تَعُدْ تَنْتِفُ رِيشَ الْحَمَامِ الْمِسْكِينِ، وَلَا تَشُكُّ الْغَزَالَ بِسِنِّ السِّكِّينِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ بِحِكَايَةِ «جِيرْدَا» أَدْرَكَتْ أَنَّهَا لَمْ يَعُدْ يَحِقُّ لَهَا أَنْ تَسْجِنَهَا مَعَهَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ فَصْلُ الشِّتَاءِ

الْجَدِيدِ سَمَحَتْ لَهَا بِالْخُرُوجِ لِمُوَاصَلَةِ رِحْلَتِهَا مَعَ الْغَزَالِ الْأَحْمَرِ.

انْتَهَزَتِ اللِّصَّةُ الصَّغِيرَةُ فُرْصَةَ نَوْمِ أُمِّهَا سَاعَةَ الظَّهِيرَةِ، فَأَخْرَجَتِ الْغَزَالَ الْأَحْمَرَ، وَشَدَّتْهُ إِلَى عَرَبَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَيْهَا مَقْعَدٌ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، ثُمَّ رَكِبَتْ «جِيرْدَا» الْعَرَبَةَ بَعْدَ أَنْ أَهْدَتْهَا اللِّصَّةُ الصَّغِيرَةُ بَعْضَ الْخُبْزِ وَالْجُبْنِ لِلرِّحْلَةِ.

انْطَلَقَ الْغَزَالُ الْأَحْمَرُ يَجْرِي مُخْتَرِقًا الْغَابَةَ مِنْ جَدِيدٍ، ثُمَّ عَبَرَ الصَّحَارِيَ وَالْبَوَادِيَ، ثُمَّ عَبَرَ الْمُرُوجَ الَّتِي ذَبُلَتْ خُضْرَتُهَا لِقَسْوَةِ الشِّتَاءِ، وَقَالَ الْغَزَالُ الْأَحْمَرُ بَعْدَ سَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنَ السَّيْرِ:

«هَا هِيَ أَضْوَاءُ الشَّمَالِ الْقَدِيمَةُ الْعَزِيزَةُ، إِنَّهُ مَوْطِنِي الَّذِي أَعُودُ الْآنَ إِلَيْهِ».

وَهُنَا تَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، وَمَاتَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى بِلادِ الشَّمَالِ الْعَزِيزَةِ عَلَيْهِ، وَتَرَكَ «جِيرْدَا» وَحْدَهَا وَسْطَ الْعَرَاءِ وَالثُّلُوجِ لَا تَدْرِي مَاذَا تَفْعَلُ.

فِي قَصْرِ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ

كَانَتْ «جِيرْدَا» تَكَادُ تَتَجَمَّدُ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ، لَكِنَّهَا رَاحَتْ تَنْفُخُ فِي يَدَيْهَا، وَكُلَّمَا تَقَدَّمَتْ عَلَى الطَّرِيقِ نَحْوَ الْقَصْرِ كَانَتْ زَخَّاتُ الْجَلِيدِ الْمُتَطَايِرِ تَتَزَايَدُ وَتَتَكَاثَفُ مِنْ حَوْلِهَا وَهِيَ تَدْفَعُهَا عَنْهَا وَعَنْ مَلَابِسِهَا كُلَّ دَقِيقَةٍ.

أَمَّا فِي دَاخِلِ الْقَصْرِ فَقَدْ كَانَ «كَايْ» الْمِسْكِينُ رَاقِدًا فِي مَكَانِهِ بِلَا حَرَاكٍ، لَا يَدْرِي مَنْ هُوَ وَلَا مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَكَانَتِ الْمَلِكَةُ قَدْ تَرَكَتْهُ وَذَهَبَتْ إِلَى رِحْلَتِهَا السَّنَوِيَّةِ كُلَّ عَامٍ، وَسَحَرَتْهُ بِحَيْثُ لَا يَتَمَكَّنُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْقَصْرِ إِلَّا إِذَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُوِّنَ كَلِمَةً بِالْحُرُوفِ الثَّلْجِيَّةِ الَّتِي يَلْعَبُ بِهَا، كَلِمَةً مُحَدَّدَةً هِيَ الَّتِي سَتَنْجَحُ فِي إِبْطَالِ تَعْوِيذَتِهَا الشِّرِّيرَةِ، وَرَاحَ «كَايْ» يُكَوِّنُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي كَلِمَاتٍ عَدِيدَةً ـ كُلَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَذَكَّرَهَا أَوْ يَعْرِفَهَا، لَكِنْ بِلَا جَدْوَى.

دَخَلَتْ «جِيرْدَا» أَخِيـرًا إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي كَانَتْ جُدْرَانُـهُ مُكَوَّنَةً مِنَ الثَّلْجِ الْمُتَرَاكِمِ، وَقَاعَاتُهُ وَحُجُرَاتُهُ طَوِيلَةٌ وَشَاسِعَةٌ، وَبِدَاخِلِهِ بُحَيْرَةٌ مُتَجَمِّدَةٌ، جَلَسَ «كَايْ» إِلَى جِوارِهَا وَهُوَ يَتَلَاعَبُ بِقِطَعِ الْجَلِيدِ، مُكَوِّنًا الْكَلِمَاتِ بِالْحُرُوفِ.

وَمَا إِنْ رَأَتْهُ «جِيرْدَا» حَتَّى اسْـتَعَادَتْ قُوَّتَهَا وَنَشَاطَهَا، وَجَرَتْ نَحْوَهُ تَحْمَدُ اللهَ عَلَى عُثُورِهَا عَلَيْهِ سَـالِمًا، غَيْرَ أَنَّ «كَايْ» لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْهَا، وَظَلَّ مُنْدَهِشًا وَهُوَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ عَمَّنْ تَكُونُ هَذِهِ الْفَتَاةُ، وَكَيْفَ جَاءَتْ إِلَى قَصْرِ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ.

وَعِنْدَمَا أَدْرَكَتْ «جِيـرْدَا» أَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْهَا حَاوَلَـتْ أَنْ تُذَكِّرَهُ بِأَيَّامِ الْمَاضِـي، وَلَكِنَّهُ لَـمْ يَتَذَكَّرْ أَيَّ شَيْءٍ، فَغَلَبَ «جِيرْدَا» الْبُـكَاءُ، وَمَـعَ دُمُوعِهَا رَاحَتْ تُغَنِّـي لَهُ بِصَوْتِهَا الْجَمِيـلِ الْأُغْنِيَّاتِ الَّتِي كَانَا يَتَغَنَّيَـانِ بِهَا عِنْدَمَا كَانَا طِفْلَيْـنِ صَغِيرَيْـنِ يَلْعَبَانِ مَعًا، وَمِـنْ بَيْنِ كَلِمَاتِ إِحْدَى الْأُغْنِيَّاتِ، سَـمِعَهَا «كَايْ» تَقُولُ: «بِالْحُبِّ وَالإِيمَانِ نَصْنَعُ الْمُسْتَحِيلَ»، فَكَوَّنَ

كَلِمَةَ الْحُــبِّ وَمِنْ بَعْدِهَا كَلِمَةَ الإِيمَانِ، وَهُنَا اسْــتَعَادَ عَافِيَتَهُ، وَصَارَ قَادِرًا عَلَى النُّهُوضِ، وَعِنْدَهَا تَذَكَّرَ «جِيرْدَا» وَغَلَبَتْهُ الدُّمُوعُ، فَسَبَحَتْ شَظِيَّةُ الْمِرْآةِ الصَّغِيرَةُ الَّتِي سَــكَنَتْ فِي عَيْنِهِ طَوَالَ الْعَامِ الْمَاضِي، وَسَــقَطَتْ وَسَالَتْ مَعَ الدُّمُوعِ، فَعَادَ لِيَرى الْجَمَالَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ كَمَا كَانَ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ سِجْنِهِ فِي قَصْرِ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ، بَعْدَ أَنْ أَتَتْ إِلَيْهِ صَدِيقَتُهُ الْمُخْلِصَةُ «جِيرْدَا» وَتَحَمَّلَتِ الْأَهْوَالَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُخَلِّصَهُ مِنْ سِجْنِهِ.

وَبِرَغْمِ ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ لَا يَزَالُ أَمَامَهُمَا رِحْلَةٌ طَوِيلَةٌ وَشَــاقَّةٌ، مِنَ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ الْبَعِيدِ الْمُتَجَمِّدِ وَحَتَّى مَدِينَتِهِمَا الْحَبِيبَةِ الْجَمِيلَةِ.

وَكَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ السَّــعِيدَةُ بِالْخَارِجِ فِي انْتِظَارِهِمَا؛ فَقَــدْ وَجَدَا، بَعْدَ أَنْ سَارَا قَلِيلًا، عَرَبَةً مَلَكِيَّةً أَرْسَلَتْهَا لَهُمَا الْأَمِيرَةُ وَعَلَيْهَا حُوذِيٌّ وَبَعْضُ الْخَدَمِ وَالْفُرْسَــانِ. وَفِي الْعَرَبَةِ رَاحَتْ «جِيرْدَا» تَحْكِي لِـ«كَايِ» كُلَّ الْمُغَامَرَاتِ وَالْعَجَائِــبِ الَّتِي جَرَتْ لَهَا فِي رِحْلَتِهَــا لِلْبَحْثِ عَنْهُ.

كَانَ «كَاي» لا يَتَذَكَّرُ الْكَثِيرَ عَمَّا حَدَثَ لَهُ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّقَ فِي عَرَبَةِ السَّاحِرَةِ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ، غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ تُهِينُهُ وَتَتَلَاعَبُ بِهِ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ أَعْمَالًا مُسْتَحِيلَةً حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنَ الذَّهَابِ، وَصَارَ بِمَقْدُورِهِ الْآنَ أَنْ يَرَى كَمْ كَانَتِ الْحَيَاةُ الَّتِي هَجَرَهَا، مَلَلًا وَضَجَرًا، حَيَاةً جَمِيلَةً وَهَانِئَةً وَلَا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، بَعْدَ أَنْ زَالَتِ الْغَشَاوَةُ عَنْ عَيْنَيْهِ، وَذَابَتْ شَظِيَّةُ الْمِرْآةِ، وَلَنْ تَعُودَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ بِالْمَرَّةِ.

كَانَتْ هَذِهِ حِكَايَةَ الْوَلَدِ الصَّغِيرِ «كَاي» وَالْبِنْتِ الصَّغِيرَةِ «جِيرْدَا» مَعَ مَلِكَةِ الْجَلِيدِ.

السُّلَحْفَاةُ وَالْوَطَنُ

ذَاتَ مَرَّةٍ عَاشَ طَائِرَانِ مِنْ طُيُورِ الْبَلَشُونِ، أَوْ مَالِكِ الْحَزِينِ، مَعًا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَهُمَا «تِشِينْج» وَ«تْشَانْج»، وَكَانَتْ تَسْكُنُ مَعَهُمَا سُلَحْفَاةٌ عَجُوزٌ مُشَاكِسَةٌ وَصَعْبَةُ الْمِرَاسِ.

وَكُلَّمَا رَحَلَ الطَّائِرَانِ لِصَيْدِ السَّمَكِ مِنَ الْبُحَيْرَةِ الْقَرِيبَةِ بِمِنْقَارَيْهِمَا الطَّوِيلَيْنِ، كَانَتِ السُّلَحْفَاةُ تَبْقَى فِي الْمَسْكَنِ بِانْتِظَارِهِمَا، وَهِيَ تَغْزِلُ الصُّوفَ كَمَا اعْتَادَتْ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ.

وَظَلَّ الْحَالُ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً، وَبَيْنَمَا كَانَتِ السَّيِّدَةُ سُلَحْفَاةٌ مُنْشَغِلَةً بِتَحْضِيرِ وَجْبَةِ الْعَشَاءِ قَالَ «تْشَانْج» وَهُوَ يَقِفُ عَلَى فَرْعِ شَجَرَةٍ، وَيَتَسَلَّى بِتَمْشِيطِ رِيشِهِ بِمِنْقَارِهِ الطَّوِيلِ:

«أَظُنُّ أَنَّ مِيَاهَ بُحَيْرَتِنَا تَتَنَاقَصُ بِشَكْلٍ يَبْعَثُ عَلَى الْقَلَقِ».

وَشَيْئًا فَشَيْئًا بَدَأَ فَصْلُ الصَّيْفِ يَقْتَرِبُ، دُونَ قَطْرَةِ مَطَرٍ وَاحِدَةٍ فِي تِلْكَ الأَنْحَاءِ،

وَصَارَ الْجَفَافُ أَمْرًا لَا مَفَرَّ مِنْهُ، وَجَفَّ مَـاءُ الْبُحَيْرَةِ خِلَالَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، وَبَانَ قَاعُهَا مُوحِلًا وَبِلَا أَسْمَاكٍ، وَلَاحَ أَمَامَ الْجَمِيعِ شَبَحُ الْمَجَاعَةِ وَالْمَوْتِ.

قَالَ «تِشِينْج»: «عَلَيْنَا أَنْ نَفِرَّ مِنَ الْجَفَافِ وَالْجُوعِ».

وَهُنَا أَخْرَجَتِ السُّلَحْفَاةُ رَأْسَهَا مِنْ دِرْعِهَا الصُّلْبِ الْقَوِيِّ، وَقَالَتْ:

«لَا تَهْتَمَّـا لِأَمْرِي، فَأَنَا أَسْـتَطِيعُ تَحَمُّلَ الْجُوعِ لِفَتْـرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَلَابُدَّ أَنَّ الْجَفَافَ سَيَنْتَهِي فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَسَوْفَ تُمْطِرُ السَّمَاءُ وَيَنْبُتُ الْعُشْبُ مِنْ جَدِيدٍ، وَعِنْدَهَا سَـآكُلُ وَأَشْرَبُ، وَسَـوْفَ تَعُودَانِ إِلَى هُنَا لِتَجِدَانِي أَحْرُسُ بَيْتَكُمَا وَأَرْعَاهُ لَكُمَا».

لَكِنَّ الطَّائِرَيْنِ لَمْ يَقْتَنِعَا بِكَلَامِ السُّـلَحْفَاةِ الْعَجُـوزِ، وَقَرَّرَا أَنْ يَحْمِلَاهَا مَعَهُمَا وَلَوْ رَغْمًا عَنْهَا؛ لِأَنَّهُمَا لَوْ تَرَكَاهَا هُنَا فَلَابُدَّ أَنَّهَا سَتَهْلِكُ مِنَ الْعَطَشِ وَالْجُوعِ.

وَهَكَذَا تَوَصَّلَا لِحَلٍّ مُنَاسِبٍ فِي الصَّبَاحِ، فَأَحْضَرَا عَصًا قَصِيـرَةً وَلَكِنَّهَـا مَتِينَـةٌ، لِكَيْ يُمْسِكَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِطَرَفِهَا خِلَالَ طَيَرَانِهِمَا، بَيْنَمَا تَتَشَبَّثُ السُّلَحْفَاةُ بِهَا بِفَمِهَا.

حَاوَلَا إِقْنَاعَ السُّلَحْفَاةِ بِالطَّيَرانِ مَعَهُمَا، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَجِبْ لَهُمَا إِلَّا بَعْدَ إِلْحَاحٍ طَوِيلٍ، وَعَلَى كُرْهٍ مِنْهَا.

ونَبَّهَهَا «تشانج» قَبْلَ أَنْ يَطِيرُوا أَلَّا تَفْتَحَ فَمَهَا بِالْمَرَّةِ، أَثْنَاءَ تَحْلِيقِهِمْ فِي الْهَوَاءِ، لأَنَّهَا لَوْ فَعَلَتْ سَوْفَ تَسْقُطُ وَيَتَحَطَّمُ دِرْعُهَا مَهْمَا كَانَ قَوِيًّا وَصُلْبًا. ثُمَّ طَارَ الأَصْدِقَاءُ الثَّلَاثَةُ. وقَدْ تَعَذَّرَ الإِقْلَاعُ قَلِيلًا؛ لأَنَّ الطَّائِرَيْنِ لَمْ يَكُونَا مُعْتَادَيْنِ الطَّيَرَانَ وَهُمَا يَحْمِلَانِ شَيْئًا مَعَهُمَا، وَأَحَسَّتِ السُّلَحْفَاةُ بِأَنَّهَا سَتَكُونُ عِبْئًا عَلَيْهِمَا طَوَالَ الرِّحْلَةِ، لَكِنَّهَا لَمْ تَرْغَبْ أَنْ تَتَكَلَّمَ أَوْ تَفْتَحَ فَمَهَا؛ حَتَّى لَا تَسْقُطَ فَتَتَحَطَّمَ أَوْ تَمُوتَ.

وَعِنْدَمَا بَدَأُوا يَصْعَدُونَ فِي الْجَوِّ، بَدَأَتِ السُّلَحْفَاةُ تَشْعُرُ بِأَنَّ رُوحَهَا تُسْلَبُ مِنْهَا؛ لأَنَّهَا تَبْتَعِدُ عَنْ مَوْطِنِهَا الَّذِي عَاشَتْ فِيهِ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً مُنْذُ أَنْ كَانَتْ سُلَحْفَاةً صَغِيرَةً تَلْهُو وَتَلْعَبُ، وَعِنْدَمَا أَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ كَلِمَةَ وَدَاعٍ لِوَطَنِهَا الْحَبِيبِ فَتَحَتْ فَمَهَا، فَأَفْلَتَتِ الْعَصَا وَسَقَطَتْ مِنَ الْأَعَالِي، وَرَآهَا الْبَلَشُونَانِ الْمَذْهُولَانِ وَهِيَ تَحُطُّ بَعِيدًا جِدًّا عَلَى الْأَرْضِ.

تَرَكَاهَا هُنَاكَ وَهُمَا يَعْتَقِدَانِ أَنَّهَا لَابُدَّ قَدِ اخْتَارَتْ أَنْ تَمُوتَ فِي مَوْطِنِهَا بَدَلًا مِنْ أَنْ تَتْرُكَهُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، وَأَفْلَتَ الْبَلَشُونَانِ الْعَصَا وَهُمَا يَشْعُرَانِ بِحُزْنٍ شَدِيدٍ، وَوَاصَلَا طَيَرَانَهُمَا نَحْوَ بِلَادِ الشَّمَالِ، وَعَاشَا هُنَاكَ حَوَالَيْ

سَنَةٍ، إِلَى أَنِ اشْتَاقَا إِلَى أَرْضِهِمَا وَمَوْطِنِهِمَا، فَقَرَّرَا أَنْ يَعُودَا إِلَيْهِ لَعَلَّ الْجَفَافَ يَكُونُ قَدِ انْتَهَى وَعَادَتِ الأَمْطَارُ الْغَزِيرَةُ لِلسُّقُوطِ وَعَادَتِ الأَسْمَاكُ الْجَمِيلَةُ لِلْبُحَيْرَةِ الْعَذْبَةِ.

سَارَعَا بِالتَّوَجُّهِ نَحْوَ مَنْزِلِهِمَا الْقَدِيمِ، وَأَدْهَشَهُمَا أَنْ يَجِدَا الْمَنْزِلَ مِنَ الْخَارِجِ كَمَا كَانَ، بَلْ وَكَانَتْ تَنْبَعِثُ مِنَ الدَّاخِلِ رَوَائِحُ الطَّعَامِ الطَّيِّبَةِ، فَظَنَّا أَنَّ آخَرِينَ قَدْ جَاءُوا وَأَقَامُوا بِالْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ، وَعِنْدَمَا طَرَقَا الْبَابَ لَمْ يَتَصَوَّرَا أَبَدًا أَنْ تَفْتَحَ لَهُمَا السُّلَحْفَاةُ الْعَجُوزُ.

وَكَمْ كَانَتْ سَعَادَةُ الْبَلَشُونَيْنِ كَبِيرَةً عِنْدَمَا عَلِمَا أَنَّ السُّلَحْفَاةَ مَازَالَتْ حَيَّةً تُرْزَقُ، وَأَنَّهَا عِنْدَمَا سَقَطَتْ ضَمَّتْ نَفْسَهَا جَيِّدًا بِدَاخِلِ دِرْعِهَا الْقَوِيِّ، ثُمَّ سَقَطَتْ فَوْقَ كَوْمَةٍ مِنَ الْقَشِّ فَلَمْ تُصَبْ بِأَيِّ أَذًى، ثُمَّ إِنَّهَا تَحَمَّلَتْ قَسْوَةَ مَوْسِمِ الْجَفَافِ وَالْعَطَشِ وَالْجُوعِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ رَاضِيَةً وَآمِنَةً؛ لأَنَّهَا كَانَتْ فِي وَطَنِهَا وَبِدَاخِلِ بَيْتِهَا، وَفِي انْتِظَارِ صَدِيقَيْهَا الْحَبِيبَيْنِ حَتَّى يَعُودَا مِنْ جَدِيدٍ.

الْحَلَّاقُ وَكِتْمَانُ السِّرِّ

كَانَ الْحَلَّاقُ الشَّـــابُّ يَقُصُّ شَعْرَ الْمَلِكِ عِنْدَمَا لَاحَظَ شَيْئًا غَرِيبًا وَعَجِيبًا لِلْغَايَـــةِ؛ فَقَدْ رَأَى أَنَّ لِلْمَلِكِ أُذُنَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ جِدًّا، لَكِنَّ الْمَلِكَ كَانَ يُخْفِيهِمَا جَيِّدًا تَحْتَ خُصْلَاتِ شَعْرٍ طَوِيلَةٍ. رَاحَ الْحَلَّاقُ يَتَسَاءَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ أَيْنَ رَأَى مِثْلَ هَاتَيْنِ الْأُذُنَيْنِ مِنْ قَبْلُ؟ وَشَرَدَ مَعَ أَفْكَارِهِ حَتَّى إِنَّهُ تَوَقَّفَ عَنْ حِلَاقَةِ شَعْرِ الْمَلِكِ، فَانْفَجَرَ الْمَلِكُ فِيهِ غَاضِبًا، وَصَاحَ فِيهِ:

«أَيُّهَا الْمَعْتُوهُ، سَأَقْطَعُ رَأْسَكَ، مَاذَا حَلَّ بِكَ؟».

فَأَجَابَ الْحَلَّاقُ بِسُرْعَةٍ خَائِفًا:

«لَاشَيْءَ يَا مَوْلَايَ الْمَلِكَ!».

وَاصَلَ الْحَلَّاقُ عَمَلَهُ، ثُمَّ صَاحَ فَجْأَةً قَائِلًا:

«نَعَـــمْ، تَذَكَّرْتُ الْآنَ، أَرْجُـــو الْمَعْذِرَةَ يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ! لَقَدْ رَأَيْـــتُ أُذُنَيْنِ مِثْلَ أُذُنَيْـــكَ فَـــوْقَ رَأْسِ حِمَارٍ..وَلَكِنَّ أُذُنَيِ الْحِمَارِ أَطْوَلُ قَلِيلًا!».

وَلَكِنَّهُ تَعَهَّدَ لِلْمَلِـــكِ بِكِتْمَانِ هَذَا السِّـــرِّ، فَوَهَبَهُ الْمَلِكُ صُـــرَّةً مُمْتَلِئَةً بِالنُّقُودِ الذَّهَبِيَّـــةِ، فَانْصَرَفَ الْحَلَّاقُ

سَـعِيدًا رَاضِيًا. وَكَانَ كُلَّمَا تَذَكَّرَ سِرَّ الْمَلِكِ يَضْحَكُ وَيَضْحَكُ، مِمَّا جَعَلَ النَّاسَ يَظُنُّونَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ. وَعِنْدَمَـا وَصَلَ الْحَلَّاقُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَفَتَحَتْ لَهُ أُمُّهُ الْبَابَ انْفَجَرَ فِي الضَّحِكِ، وَتَسَـاءَلَتِ الْأُمُّ فِي دَهْشَةٍ وَتَعَجُّبٍ عَنْ سِرِّ كُلِّ تِلْكَ الضَّحِكَاتِ، فَأَقْنَعَهَا بِأَنَّهُ سَعِيدٌ لِأَنَّ الْمَلِكَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِصُرَّةٍ مُمْتَلِئَةٍ بِالْجُنَيْهَاتِ الذَّهَبِيَّـةِ، وَكَانَ كُلَّمَا تَذَكَّرَ صُورَةَ أُذُنَيِ الْمَلِـكِ تُعَاوِدُهُ نَوْبَاتُ الضَّحِكِ الْهِسْتِيرِيَّةِ، وَحَاوَلَتْ أُمُّهُ أَنْ تُقْنِعَهُ بِأَنْ يَكْشِفَ لَهَا عَمَّا بِدَاخِلِهِ؛ لِأَنَّ وَجْهَهُ قَدْ تَوَرَّمَ مِنَ الضَّحِكِ، لَكِنَّهُ أَخْبَرَهَا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ سِرِّهِ لِأَيِّ مَخْلُوقٍ. فَنَصَحَتْهُ الْأُمُّ بِنَصِيحَةٍ حَمْقَاءَ، وَقَالَتْ لَهُ:

«إِنْ كُنْتَ لا تَسْـتَطِيعُ أَنْ تُصَرِّحَ لِي بِهَذَا السِّـرِّ الْخَطِيرِ، فَلْتَذْهَبْ إِذَنْ إِلَى الْغَابَةِ، وَلْتُصَرِّحْ بِالسِّرِّ إِلَى الْأَشْجَارِ؛ فَهِيَ لا تَتَكَلَّمُ».

وَهَكَذَا ذَهَبَ الْحَلَّاقُ إِلَى الْغَابَةِ، وَبَدَأَ يُخَاطِبُ الْأَشْجَارَ هُنَاكَ قَائِلًا:

«لَا تُخْبِرِي أَحَدًا بِالسِّـــرِّ الَّذِي سَوْفَ أَكْشِـــفُهُ لَكِ: مَلِكُنَا الْعَظِيمُ لَهُ أُذُنَا حِمَارٍ! وأَنَا أُخْبِرُكِ بِالسِّرِّ؛ حَتَّى لا أَمُوتَ مِنَ الضَّحِكِ، فَقَدْ أَوْشَكَ الضَّحِكُ أَنْ يَقْتُلَنِي، وَلَكِنَّنِي الْآنَ قَتَلْتُ الضَّحِكَ وَاسْتَرَحْتُ».

وَتَمُرُّ الْأَيَّامُ وَيَحْتَاجُ طَبَّالٌ إِلَى صُنْعِ طَبْلَةٍ جَدِيدَةٍ، فَيَذْهَبُ إِلَى الْغَابَةِ وَيَقْطَعُ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي بَاحَ لَهَا الْحَلَّاقُ بِالسِّرِّ الدَّفِينِ، ثُمَّ يَصْنَعُ مِنْ خَشَبِهَا طَبْلَةً جَدِيدَةً، وَفِي يَوْمِ الْعِيدِ تَوَجَّهَ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ؛ لِيُظْهِرَ مَهَارَتَهُ فِي الْعَزْفِ أَمَامَ جَلَالَةِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ السَّعِيدَةِ.

جَلَسَ الْمَلِكُ فِي شُرْفَةِ الْقَصْرِ يُتَابِعُ الْاحْتِفَالَاتِ، وَعِنْدَمَا جَاءَ دَوْرُ عَازِفِ الطَّبْلَـــةِ، بَدَأَ يَدُقُّ عَلَى طَبْلَتِهِ الْجَدِيدَةِ بِمَهَـــارَةٍ فَائِقَةٍ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ جَعَلَ الطَّبْلَةَ تَنْطِقُ كَمَا يَقُولُونَ، لَكِنَّهَا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ نَطَقَتْ بِكَلَامٍ يُشْبِهُ كَثِيرًا كَلَامَ الْبَشَرِ، نَطَقَتْ وَقَالَتْ:

«لا تُخْبِرُوا أَحَدًا بِالسِّـــرِّ الَّذِي سَوْفَ أَكْشِـــفُهُ لَكُمْ: مَلِكُنَا الْعَظِيمُ لَهُ أُذُنَا حِمَارٍ!».

وَهُنَا، وَعِنْدَمَا انْكَشَفَ سِرُّ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ خَلَعَ تَاجَهُ عَلَى مَرْأَى مِنَ الْجَمِيعِ، وَكَشَفَ خُصْلَاتِ شَـــعْرِهِ الطَّوِيلَةَ حَتَّى رَأَى الْجَمِيعُ أُذُنَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ، فَأَمَرَ بِنَفْيِ الْحَلَّاقِ الشَّابِّ خَارِجَ الْبِلَادِ؛ لِأَنَّـــهُ لَمْ يَسْـــتَطِعْ أَنْ يَكْتُمَ السِّرَّ وَبَاحَ بِهِ لِلْأَشْجَارِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهِ وَكَشَفَتْهُ لِلْجَمِيعِ، وَلِأَنَّ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْتَمَنَ عَلَى السِّرِّ لا يُؤْتَمَنُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ.

التِّنِّينُ وَمَلِكُ الْبُحَيْرَةِ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، فِي إِحْدَى جُزُرِ الْيَابَانِ، كَانَتْ هُنَاكَ مَمْلَكَةٌ غَنِيَّةٌ وَمُزْدَهِرَةٌ تَقُومُ إِلَى جِوَارِ بُحَيْرَةٍ كَبِيرَةٍ، تَمْتَلِئُ بِمُخْتَلِفِ أَنْوَاعِ الْأَسْمَاكِ صَيْفًا وَشِتَاءً، وَتَنْتَشِرُ مِنْ حَوْلِهَا الْحُقُولُ وَالْخَضْرَاوَاتُ.

وَمَضَى الزَّمَنُ عَلَى هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ فِي رَخَاءٍ وَسَعَادَةٍ، حَتَّى ظَهَرَ فِيهَا تِنِّينٌ ضَخْمٌ، يَنْفُخُ النَّارَ مِنْ فَمِهِ فَيَحْرِقُ وَيُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ. وَهَكَذَا أَخَذَ النَّاسُ يَهْجُرُونَ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ الْمَشْؤُومَةَ بَعْدَ أَنْ سَكَنَهَا التِّنِّينُ الشِّرِّيرُ، وَلَمْ يَعْرِفْ مَلِكُهَا الطَّيِّبُ مَا الَّذِي يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْعَلَهُ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ هَذَا التِّنِّينِ. فَأَعْلَنَ عَنْ مُكَافَأَةٍ كَبِيرَةٍ لِأَيِّ شَخْصٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ هَذَا التِّنِّينِ.

وَبِالْفِعْلِ أَتَى الْكَثِيرُونَ إِلَى الْمَمْلَكَةِ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى قَتْلِ التِّنِّينِ، أَوْ طَرْدِهِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ عَلَى الْأَقَلِّ، وَلَكِنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ يَرَوْهُ وَيُوَاجِهُوهُ وَيُحَاوِلُوا مُحَارَبَتَهُ كَانُوا يَرْجِعُونَ خَائِبِينَ مَهْزُومِينَ، وَيُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ فِرَارًا مِنْ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ، الَّتِي لَمْ يَتَبَقَّ فِيهَا غَيْرُ مَلِكِهَا وَبَعْضٌ مِنْ حَاشِيَتِهِ وَخَدَمِهِ وَأَقَارِبِهِ.

وَلَمْ يَجِدِ الْمَلِكُ مَفَرًّا مِنْ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى الْحِيلَةِ؛ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنَ التِّنِّينِ، فَأَحْضَرَ حَيَّةً كَبِيرَةَ الْحَجْمِ وَتَرَكَهَا رَاقِدَةً عَلَى الْجِسْرِ الَّذِي يَمُرُّ فَوْقَ الْبُحَيْرَةِ، وَقَرَّرَ أَنْ يُرَاقِبَهَا مِنْ شُرْفَةِ قَصْرِهِ، إِلَى أَنْ يَعْثُرَ عَلَى شَخْصٍ شُجَاعٍ لا يَرْهَبُ

الْحَيَّةَ فَيَمُرُّ بِجِوَارِهَا دُونَ أَنْ يَضْطَرِبَ، وَبِذَلِكَ يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ لَنْ يَرْهَبَ التِّنِّينَ، وَيَسْتَطِيعَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَالْمَلِكُ كَمَا هُوَ يُرَاقِبُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْحَيَّةُ كَمَا هِيَ تَلْتَفُّ حَوْلَ نَفْسِهَا بَعْدَ أَنْ رُبِطَ ذَيْلُهَا إِلَى الْجِسْرِ، وَكُلَّمَا رَآهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَجَعَ هَارِبًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ، حَتَّى أَتَى إِلَى الْجِسْرِ ذَاتَ يَوْمٍ مُحَارِبٌ يُدْعَى «هِيتُو»،

مِنْ مُحَارِبِي السَّامُوراي، وَهُمْ مُحَارِبُونَ يَابَانِيُّونَ أَشِدَّاءُ ذَوُو أَخْلَاقٍ نَبِيلَةٍ.

فَلَمَّا مَرَّ بِالْجِسْرِ وَرَأَى الْحَيَّةَ تَتَمَدَّدُ بِعَرْضِ الْجِسْرِ الْخَشَبِيِّ الضَّيِّقِ تَرَدَّدَ قَلِيلًا، ثُمَّ مَرَّ مِنْ جَانِبِهَا بِخُطُوَاتٍ قَوِيَّةٍ ثَقِيلَةٍ لَا تَهَابُ شَيْئًا. وَمَا إِنْ مَرَّ الْمُحَارِبُ الشُّجَاعُ «هِيتُو» مِنْ جَانِبِ الْحَيَّةِ وَتَجَاوَزَهَا إِلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى مِنَ الْجِسْرِ، حَتَّى سَمِعَ صَوْتًا يُنَادِيهِ قَائِلًا:

«انْتَظِرْ أَيُّهَا الْمُحَارِبُ، أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ!».

وَطَلَبَ مِنْهُ الْمَلِكُ الصُّعُودَ إِلَيْهِ ، وَعِنْدَمَا الْتَقَى بِهِ قَالَ لَهُ:

«أَنْتَ مُحَارِبٌ شُجَاعٌ لَمْ تَفْزَعْ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَيَّةِ الْكَبِيرَةِ عَلَى الْجِسْرِ، وَمَرَرْتَ بِجِوَارِهَا كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ، وَأَنَا بِحَاجَةٍ لِمُحَارِبٍ جَسُورٍ مِثْلِكَ لِمُحَارَبَةِ التِّنِّينِ الشِّرِّيرِ الَّذِي قَضَى عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ فِي مَمْلَكَتِنَا الْجَمِيلَةِ».

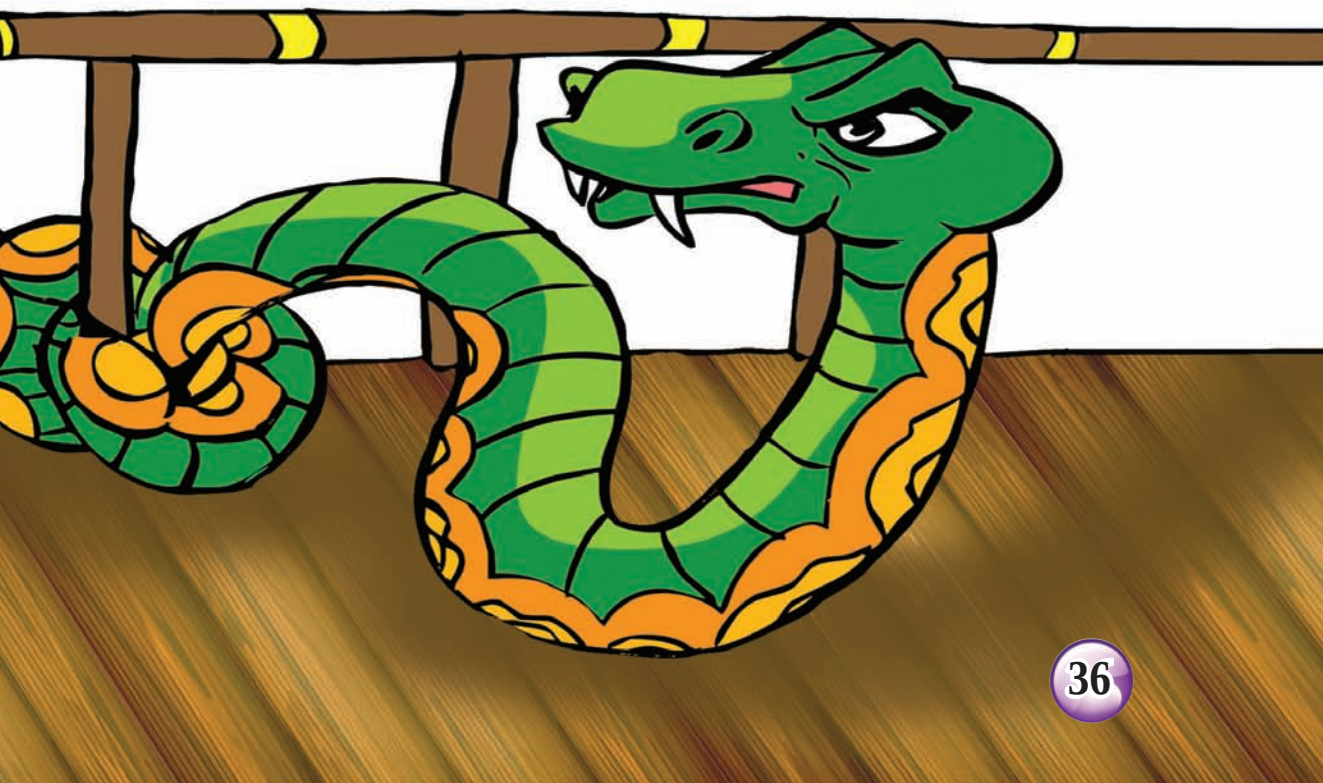

أَخْبَرَهُ الْمَلِكُ أَنَّ التِّنِّينَ يَسْكُنُ الْآنَ فِي أَعْمَاقِ الْبُحَيْرَةِ، وَبَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ يَظْهَرُ مِنْ تَحْتِ الْأَمْوَاجِ لِيَفْتَرِسَ كُلَّ مَا يَجِدُهُ فِي سَبِيلِهِ، وَهَكَذَا رَحَلَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الْمَمْلَكَةِ، وَهَجَرَ الصَّيَّادُونَ الْبُحَيْرَةَ الْغَنِيَّةَ بِالْأَسْمَاكِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ الْجَمِيعُ يَعِيشُونَ هُنَا فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ!

وَبَعْدَ أَنْ قَبِلَ الْمُحَارِبُ الشُّجَاعُ «هِيتُو» مُهِمَّةَ مُوَاجَهَةِ التِّنِّينِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ، سَأَلَهُ الْمَلِكُ عَنْ حِكَايَتِهِ وَعَمَّا جَاءَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، وَمَا سِرُّ شَجَاعَتِهِ النَّادِرَةِ، فَرَاحَ «هِيتُو» يَحْكِي لَهُ عَنْ سُوءِ حَظِّهِ وَالنَّحْسِ الَّذِي طَارَدَهُ فِي حَيَاتِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى هُنَا، وَهَذَا مَا سَنَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ فِي الْحِكَايَةِ التَّالِيَةِ، قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ التِّنِّينُ مِنْ أَعْمَاقِ الْبُحَيْرَةِ.

الْمُحَارِبُ «هِيتُو» يَقْضِي عَلَى التِّنِّينِ

حَكَى الْمُحَارِبُ «هِيتُو» لِلْمَلِكِ كَيْفَ أَنَّهُ كَانَ وَاحِدًا مِنْ أَهَمِّ فُرْسَانِ جَيْشِ إِمْبِرَاطُورِ الْيَابَانِ، إِلَى أَنْ وَقَعَتْ لَهُ حَادِثَةٌ سَيِّئَةٌ، فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْحُرُوبِ الَّتِي خَاضَهَا، عِنْدَمَا جَرَحَ، دُونَ أَنْ يَقْصِدَ، امْرَأَةً عَجُوزًا، ظَهَرَ أَنَّهَا سَاحِرَةٌ شِرِّيرَةٌ، أَلْقَتْ عَلَيْهِ تَعْوِيذَةً شِرِّيرَةً بِأَنْ يُلَازِمَهُ سُوءُ الْحَظِّ وَالنَّحْسِ أَيْنَمَا ذَهَبَ.

لَمْ يَحْمِلِ الْمُحَارِبُ «هِيتو» كَلَامَهَا عَلَى مَحْمَلِ الْجِدِّ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ مُجَرَّدُ خُرَافَاتِ امْرَأَةٍ عَجُوزٍ ذَهَبَ عَقْلُهَا. وَلَكِنَّهُ فِيمَا بَعْدُ كَانَ يَنْهَزِمُ فِي كُلِّ الْمَعَارِكِ الَّتِي يَخُوضُهَا عَلَى رَأْسِ فِرْقَتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ، فَاضْطُرَّ الْإِمْبِرَاطُورُ إِلَى تَسْرِيحِهِ مِنَ الْجَيْشِ، وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَجَدَهُ مُهَدَّمًا خَرِبًا، وَلَمْ يَعْثُرْ عَلَى أَثَرٍ لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الْأَحْبَابِ، وَقَالَ لَهُ الْجِيرَانُ:

«إِنَّهُمْ قَدْ رَحَلُوا بَعْدَ انْهِدَامِ الْمَنْزِلِ، وَلَا أَحَدَ يَعْرِفُ لَهُمْ طَرِيقًا».

تَأَثَّرَ الْمَلِكُ بِكَلَامِ الْمُحَارِبِ الشُّجَاعِ «هِيتُو»، وَوَعَدَهُ بِأَنْ يَحُلَّ لَهُ هَذِهِ الْمُشْكِلَةَ مَا إِنْ يَقْضِي عَلَى التِّنِّينِ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يُسَاعِدُهُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْ تِلْكَ التَّعْوِيذَةِ الشِّرِّيرَةِ الَّتِي رَمَتْهُ بِهَا السَّاحِرَةُ اللَّعِينَةُ.

تَشَجَّعَ «هِيتُو» وَرَاحَ يَنْتَظِرُ التِّنِّينَ مُتَأَهِّبًا لِلِقَائِهِ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْمَاقِ الْبُحَيْرَةِ جَائِعًا مُتَلَهِّفًا لِأَكْلِ مَجْمُوعَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ وَجَدَ «هِيتُو» فِي انْتِظَارِهِ وَقَدْ أَعَدَّ قَوْسَهُ وَسِهَامَهُ، وَمَا إِنْ رَأَى التِّنِّينَ يَخْرُجُ

بِرَأْسِهِ مِنَ الْبُحَيْرَةِ، حَتَّى رَمَاهُ بِسَهْمٍ أَصَابَ أُذُنَهُ، فَعَادَ التِّنِّينُ إِلَى الْمِيَاهِ وَلَمْ يَظْهَرْ بَقِيَّةَ الْيَوْمِ.

وَهَكَذَا اسْتَمَرَّتِ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ التِّنِّينِ وَالْمُحَارِبِ «هِيتُو» بِضْعَةَ أَيَّامٍ، فِي كُلِّ يَوْمٍ يَخْرُجُ التِّنِّينُ مِنْ مِيَاهِ الْبُحَيْرَةِ غَاضِبًا هَائِجًا، فَيُعَاجِلُهُ «هِيتُو» بِسَهْمٍ جَدِيدٍ يُصِيبُ جُزْءًا مُخْتَلِفًا مِنْ جِسْمِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ. إِلَى أَنْ جَاءَ يَوْمٌ اسْتَطَاعَ فِيهِ «هِيتُو» أَنْ يُصِيبَ تِنِّينَ الْبُحَيْرَةِ بِسَهْمٍ فِي عَيْنِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ عَاجَلَهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فِي عَيْنِهِ الْيُسْرَى. وَهَكَذا صَارَ التِّنِّينُ أَعْمَى، لا يَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ يَتَّجِهُ وَلا يَرَى خَصْمَهُ، وَلَا يَعْرِفُ أَيْنَ يَنْفُخُ نِيرَانَهُ الشِّرِّيرَةَ.

وَهَكَذَا تَمَكَّنَ أَهَالِي الْمَمْلَكَةِ مِنْ أَنْ يُقَيِّدُوهُ وَأَنْ يَجُرُّوهُ جَرًّا وَيُلْقُوا بِهِ بَعِيدًا عَنْ مِيَاهِ بُحَيْرَتِهِمُ النَّقِيَّةِ الصَّافِيَةِ.

وهُنا قَالَ الْمَلِكُ لِلْمُحَارِبِ «هِيتُو» بَعْدَ أَنْ سَيْطَرُوا عَلَى التِّنِّينِ:

«أَنْتَ الْآنَ تَسْــتَحِقُّ شَيْئَيْنِ: تَسْــتَحِقُّ الْمُكَافَأَةَ الْمَالِيَّةَ الْكَبِيرَةَ، وَتَسْتَحِقُّ أَيْضًا هَذَا الْخَاتَمَ».

وَنَاوَلَهُ خَاتَمًا ذَهَبِيًّا صَغِيرًا بِهِ فَصٌّ أَحْمَرُ عَجِيبٌ.

وَهُنَا شَــكَرَهُ «هِيتُو» بِكُلِّ امْتِنَانٍ وَاحْتِرَامٍ، وَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ الْخَاتَمِ ذِي الْفَصِّ الْأَحْمَرِ الْعَجِيبِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:

«هَذَا الْخَاتَمُ يُخَلِّصُ مَنْ يَضَعُهُ فِي أُصْبُعِهِ مِنْ أَيِّ تَعْوِيذَةٍ شِــرِّيرَةٍ أَوْ لَعْنَةٍ سِــحْرِيَّةٍ، وَقَدْ أَهْــدَاهُ لِي وَالِدِي قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَأَنَا الْآنَ أُهْدِيهِ لَكَ».

أَقَامَ «هِيتُو» فِي مَمْلَكَةِ الْبُحَيْرَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ اسْتَطَاعَ فِيهَا أَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى التِّنِّينِ وَأَنْ يُخَدِّرَهُ تَمَامًا، وَجَاءَ وَفْدٌ مِنَ الْقَصْرِ الإِمْبِرَاطُورِيِّ، أَرْسَلَهُمْ جَلَالَةُ إِمْبِرَاطُورِ الْيَابَانِ؛ لِكَيْ يُحْضِرُوا لَهُ ذَلِكَ التِّنِّينَ الْعَجِيبَ؛ لِيَضَعَهُ فِي قَفَصٍ كَبِيرٍ بِإِحْدَى حَدَائِقِهِ الْعَجِيبَةِ، وَيَضُمَّهُ إِلَى الْمَجْمُوعَةِ النَّادِرَةِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ فِي قَصْرِهِ.

وَدَّعَ «هِيتُو» مَلِكَ الْبُحَيْرَةِ، وَعَادَ إِلَى الإِمْبِرَاطُورِ مَعَ وَفْدِهِ، وَمَعَهُمُ التِّنِّينُ الْوَاقِعُ تَحْتَ التَّخْدِيرِ يَحْمِلُهُ مِئَاتُ الْجُنُودِ الأَشِدَّاءِ.

اسْتَقْبَلَ إِمْبِرَاطُورُ الْيَابَانِ الْمُحَارِبَ «هِيتُو» اسْتِقْبَالًا يَلِيقُ بِالأَبْطَالِ، وَقَرَّرَ إِعَادَتَهُ إِلَى صُفُوفِ الْجَيْشِ، بَلْ وَأَنْ يَرْفَعَ رُتْبَتَهُ إِلَى قَائِدٍ عَامٍّ لِلْجُيُوشِ. وَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ مُفَاجَأَةٌ أُخْرَى بِانْتِظَارِ الْمُحَارِبِ الشُّجَاعِ «هِيتُو»، حَيْثُ عَثَرَ، بَيْنَ الْحُشُودِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا لِرُؤْيَةِ التِّنِّينِ، عَلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْهُ فِي كُلِّ بِلَادِ الْيَابَانِ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ.

الْفَتَاةُ الْحَكِيمَةُ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ، كَانَتْ هُنَاكَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ، وَكَانَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ شَقِيقَانِ: أَحَدُهُمَا غَنِيٌّ، وَالْآخَرُ فَقِيرٌ، خَرَجَا مَعًا ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى سُوقِ الْعَاصِمَةِ، وَكَانَ مَعَ الْغَنِيِّ حِصَانٌ ذَكَرٌ، وَمَعَ الْفَقِيرِ فَرَسٌ أُنْثَى، وَلَكِنَّ الظَّلَامَ حَلَّ عَلَيْهِمَا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَا الْعَاصِمَةَ، فَتَوَقَّفَا عِنْدَ كُوخٍ مَهْجُورٍ، وَرَبَطَ كُلٌّ مِنْهُمَا دَابَّتَهُ فِي الشَّجَرَةِ نَفْسِهَا، ثُمَّ دَخَلَا لِلْمَبِيتِ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي كَانَتْ تَنْتَظِرُهُمَا مُفَاجَأَةٌ! فَعِنْدَمَا خَرَجَا لِفَكِّ قَيْدِ الْحِصَانِ وَالْفَرَسِ، وَجَدَا مُهْرًا صَغِيرًا بِجَانِبِهِمَا، كَانَتِ الْفَرَسُ قَدْ وَضَعَتْهُ فِي اللَّيْلِ، وَلَكِنَّ الْمُهْرَ نَامَ بَيْنَ قَوَائِمِ الْحِصَانِ؛ لِأَنَّهُ حَمْحَمَ لَهُ حَمْحَمَةً دَافِئَةً، شَفَقَةً بِالصَّغِيرِ. بَدَأَ الشِّجَارُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ عِنْدَمَا ادَّعَى الْغَنِيُّ أَنَّ

الْمُهْرَ الصَّغِيرَ مِنْ حَقِّهِ؛ لأَنَّهُ يَقِفُ بِجَانِبِ حِصَانِهِ، وَرَاحَ الْفَقِيرُ يُرَدِّدُ أَنَّ الْمُهْرَ وَلَدَتْهُ الْفَرَسُ؛ حَيْثُ كَانَتْ حُبْلَى بِهِ مُنْذُ فَتْرَةٍ.

احْتَدَمَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَوَجَّهَا إِلَى الْمَحْكَمَةِ، وَهُنَاكَ دَخَلَا عَلَى أَحَدِ الْقُضَاةِ،وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ يُرَاعِي الْعَدَالَةَ كَثِيرًا فِي أَحْكَامِهِ. وَعِنْدَمَا رَأَى القَاضِي صَدِيقَهُ الْغَنِيَّ، أَرَادَ أَنْ يَتَحَيَّزَ لَهُ وَيُنْصِفَهُ عَلَى أَخِيهِ الْفَقِيرِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَرْغَبْ أَنْ يَكُونَ تَحَيُّزُهُ مَكْشُوفًا، فَقَالَ لَهُمَا:

«مِنَ الصَّعْبِ لِلْغَايَةِ أَنْ نُقَرِّرَ مَنْ مِنْكُمَا يَسْتَحِقُّ الْمُهْرَ، لِذَلِكَ سَيَكُونَ الْمُهْرُ مِنْ حَقِّ مَنْ يَسْتَطِيعُ مِنْكُمَا أَنْ يَحُلَّ أَرْبَعَةَ أَلْغَازٍ، وَيَأْتِينِي بِحَلِّهَا الصَّحِيحِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَهِيَ: مَا الشَّيْءُ الْأَكْثَرُ سُرْعَةً فِي الْعَالَمِ؟ وَمَا الشَّيْءُ الْأَكْثَرُ نَفْعًا؟ وَمَا الشَّيْءُ الْأَكْثَرُ نُعُومَةً؟ وَمَا الشَّيْءُ الْأَغْلَى قِيمَةً؟».

عَادَ الْغَنِيُّ إِلَى زَوْجَتِهِ؛ لِكَيْ تُسَاعِدَهُ فِي حَلِّ هَذِهِ الأَلْغَازِ، وكَانَتْ زَوْجَتُهُ

امْرَأَةً مَغْرُورَةً سَيِّئَةً مِثْلَ زَوْجِهَا، فَقَالَتْ لَهُ:

«أَسْرَعُ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ هُوَ حِصَانُكَ الْأَسْوَدُ، وَالشَّيْءُ الْأَكْثَرُ نَفْعًا هُوَ ثَوْرُنَا الْأَحْمَرُ، وَالشَّيْءُ الْأَكْثَرُ نُعُومَةً هُوَ شَعْرِيَ الطَّوِيلُ، أَمَّا الشَّيْءُ الْأَغْلَى قِيمَةً فَهُوَ عِقْدُ اللُّؤْلُؤِ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ لِي قَبْلَ زَوَاجِنَا!».

أَمَّا الْفَقِيرُ، فَكَانَ يَعِيشُ مَعَ ابْنَتِهِ الْوَحِيدَةِ ذَاتِ الثَّمَانِي سَنَوَاتٍ، وَالَّتِي كَانَتْ ذَاتَ حِكْمَةٍ وَذَكَاءٍ نَادِرَيْنِ، وَلَمَّا رَأَتْهُ ابْنَتُهُ مَهْمُومًا سَأَلَتْهُ عَمَّا بِهِ، فَحَكَى لَهَا كُلَّ مَا حَدَثَ، فَأَجَابَتْهُ عَنِ الْأَلْغَازِ قَائِلَةً:

«قُلْ لِلْقَاضِي عِنْدَ انْتِهَاءِ الْمُهْلَةِ إِنَّ أَسْرَعَ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ هُوَ رِيحُ الشَّمَالِ الَّتِي تَهُبُّ عَلَى بِلَادِنَا كُلَّ عَامٍ بِالْمَطَرِ وَالْخَيْرِ، وَإِنَّ أَنْفَعَ شَيْءٍ هُوَ تُرْبَةُ حُقُولِنَا الَّتِي تَخْرُجُ ثِمَارُهَا الْوَفِيرَةُ لِلإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، وَإِنَّ الشَّيْءَ الْأَكْثَرَ نُعُومَةً هُوَ لَمْسَةُ يَدِ طِفْلٍ وُلِدَ فِي بِلَادِنَا الطَّيِّبَةِ، أَمَّا أَغْلَى شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ فَهُوَ الْعَدْلُ وَالإِنْصَافُ».

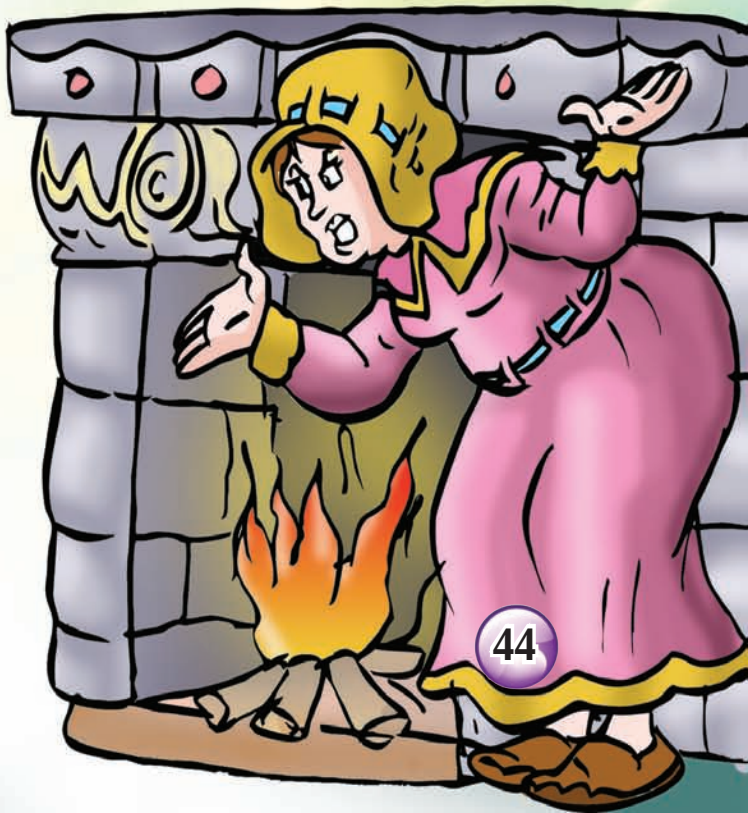

وَفِي الْيَوْمِ الْمُحَدَّدِ اسْتَمَعَ الْقَاضِي إِلَى أَجْوِبَةِ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَأَحْرَجَتْهُ كَثِيرًا أَجْوِبَةُ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ، وَالَّتِي اتَّضَحَ أَمَامَ الْجَمِيعِ أَنَّهَا الْأَصْدَقُ وَالْأَصَحُّ. فَلَجَأَ الْقَاضِي الظَّالِمُ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى الْمَكْرِ وَالْحِيلَةِ، وَسَأَلَ الْأَخَ الْفَقِيرَ:

«مَنِ الَّذِي سَاعَدَكَ فِي حَلِّ تِلْكَ الْأَلْغَازِ؟».

فَـــأَخْبَرَهُ الرَّجُلُ أَنَّهَا ابْنَتُهُ ذَاتُ الثَّمَانِيَةِ أَعْوَامٍ، فَاغْتَاظَ الْقَاضِي، وَأَرَادَ أَنْ يُنْهِيَ الْمَسْأَلَةَ تَمَامًا فَقَالَ:

«أَنْتَ تَسْتَحِقُّ الْمُهْرَ بِلَا شَكٍّ، وَسَوْفَ أَمْنَحُهُ لَكَ، وَلَكِنْ بِشَرْطٍ وَاحِدٍ... إِنْ لَمْ تَسْـــتَطِعْ تَحْقِيقَهُ سَأُعْطِي الْمُهْرَ لِشَـــقِيقِكَ، وَهَذَا الشَّرْطُ هُوَ أَنْ تَأْتِيَنِي ابْنَتُكَ الْحَكِيمَةُ تِلْكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَكِنْ عَلَيْهَا أَلَّا تَكُونَ عَارِيَةً وَلَا كَاسِـــيَةً بِـــأَيِّ ثِيَابٍ، وَأَلَّا تَحْمِلَ هَدَايَـــا وَأَلَّا تَكُونَ بِلَا هَدَايَا، وَأَلَّا تَأْتِيَ سَـــائِرَةً عَلَى قَدَمَيْهَا وَلَا مُمْتَطِيَةً صَهْوَةَ حِصَانٍ أَوْ بَغْلٍ أَوْ حِمَارٍ!».

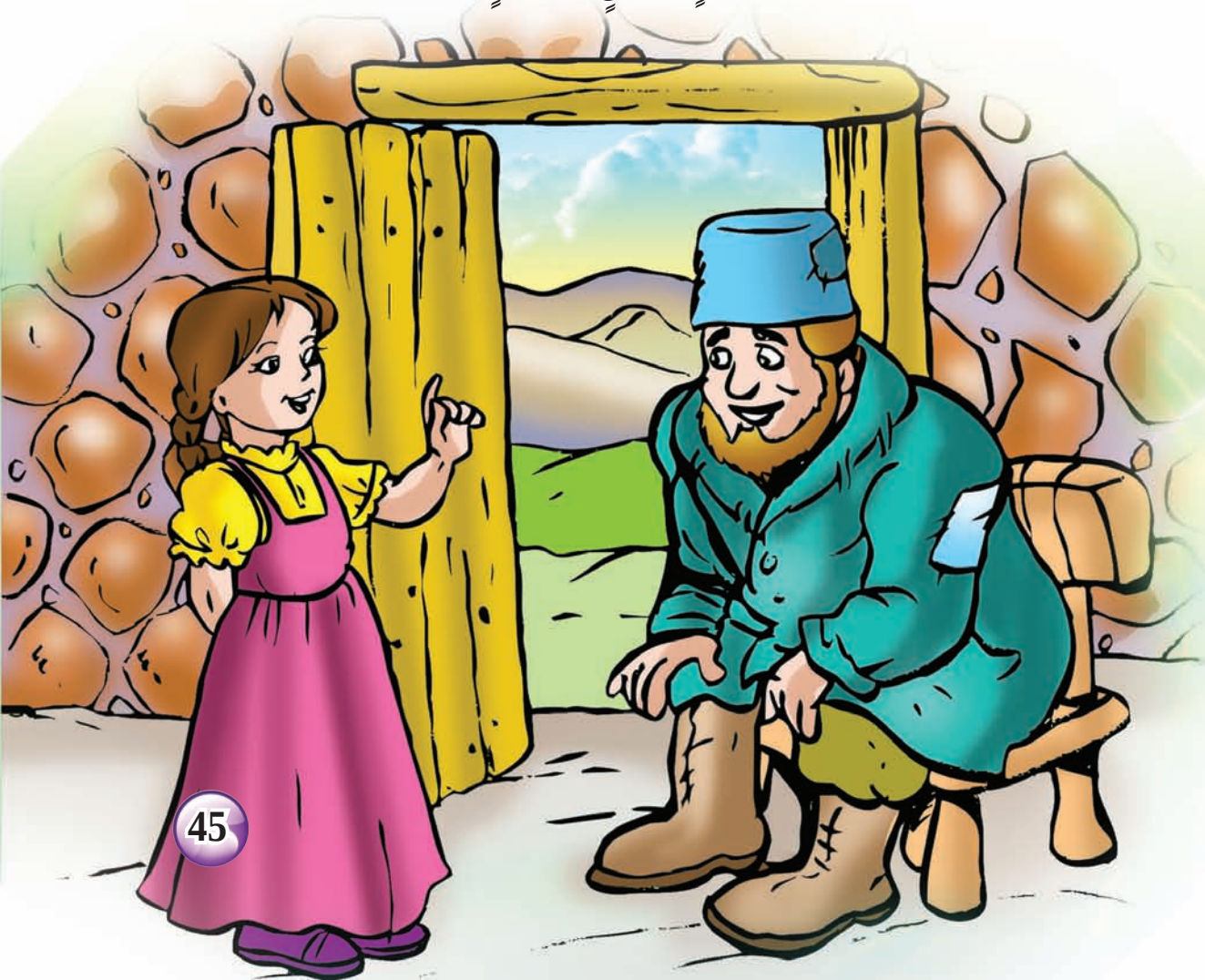

نِهَايَةُ الظُّلْمِ

عَادَ الرَّجُلُ الْفَقِيرُ إِلَى كُوخِهِ مِنْ جَدِيدٍ، وَهُوَ يَبْدُو عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ، فَسَأَلَتْهُ ابْنَتُهُ الْحَكِيمَةُ الطَّيِّبَةُ مِنْ جَدِيدٍ عَنْ سِرِّ حُزْنِهِ، فَحَكَى لَهَا مَا جَرَى مِنَ الْقَاضِي هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَكَيْفَ طَلَبَ مِنْهُ وَمِنْهَا طَلَبَاتٍ مُسْتَحِيلَةً.

هَدَّأَتِ الابْنَةُ الْحَكِيمَةُ ـ رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهَا ـ أَبَاهَا وَطَمْأَنَتْهُ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُحْضِرَ لَهَا أَرْنَبًا بَرِّيًّا وَطَائِرَ حَجَلٍ، وَيَتْرُكَ الْبَاقِيَ لَهَا. ثُمَّ رَاحَتْ تُصَلِّي وَتَدْعُو اللهَ أَنْ يُوَفِّقَهَا فِيمَا تَنْوِي الْقِيَامَ بِهِ.

حَانَ الْيَومُ الْمَوْعُودُ، وَاحْتَشَدَ فِي الْمَحْكَمَةِ رِجَالُ الدَّوْلَةِ وَأَعْيَانُ الْبِلَادِ؛ لِيَشْهَدُوا مَجِيءَ الْأَخِ الْفَقِيرِ وَابْنَتِهِ الَّتِي طَافَتْ حِكْمَتُهَا الْبِلَادَ. لَكِنْ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ هُوَ أَنَّ قَيْصَرَ رُوسْيَا الْعَظِيمَ تَنَكَّرَ فِي هَيْئَةِ تَاجِرٍ، وَانْدَسَّ بَيْنَ النَّاسِ فِي قَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ؛ لِيَطَّلِعَ بِنَفْسِهِ عَلَى مَا يَجْرِي، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ الْكَثِيرَ

عَنْ ظُلْمِ هَذَا الْقَاضِي وَمُحَابَاتِهِ لِلْأَغْنِيَاءِ ضِدَّ الْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ، وَلِيَرَى تِلْكَ الطِّفْلَةَ الْعَجِيبَةَ الَّتِي سَمِعَ الْكَثِيرَ عَنْ حِكْمَتِهَا وَفَصَاحَتِهَا.

وَبَيْنَمَا يَنْتَظِرُ الْجَمِيعُ، دَخَلَ الْأَخُ الْفَقِيرُ، وَمِنْ وَرَائِهِ جَاءَتِ ابْنَتُهُ الصَّغِيرَةُ فِي مَشْهَدٍ غَرِيبٍ كُلَّ الغَرَابَةِ؛ لأَنَّهَا كَانَتْ تَرْتَدِي شَبَكَةً كَبِيرَةً مِنْ شِبَاكِ الصَّيْدِ تُغَطِّي جِسْمَهَا تَمَامًا، وَتَمْتَطِي ظَهْرَ أَرْنَبٍ بَرِّيٍّ كَبِيرٍ، وَتُمْسِكُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا طَرَفَ خَيْطٍ رُبِطَ بِطَرَفِهِ الْآخَرِ قَدَمُ طَائِرِ الْحَجَلِ.

كَانَتْ هَذِهِ بِالضَّبْطِ هِيَ شُرُوطُ الْقَاضِي الظَّالِمِ؛ فَلَمْ تَأْتِ الْفَتَاةُ سَائِرَةً عَلَى قَدَمَيْهَا، وَكَذَلِكَ لَمْ تَمْتَطِ صَهْوَةَ حِصَانٍ أَوْ حِمَارٍ أَوْ بَغْلٍ، كَمَا أَنَّ الْفَتَاةَ لَمْ تَأْتِ عَارِيَةً وَلَكِنَّهَا كَذَلِكَ لَمْ تَرْتَدِ أَيَّةَ ثِيَابٍ، بَلْ سَتَرَتْ جَسَدَهَا بِشَبَكَةٍ مِنْ شِبَاكِ الصَّيْدِ.

وَعِنْدَئِذٍ اكْفَهَرَّ وَجْهُ الْقَاضِي، وَأَدْرَكَ أَنَّ الْفَتَاةَ كَادَتْ تَهْزِمُهُ، فَصَاحَ قَائِلًا:

«وَلَكِنِّي قُلْتُ أَلَّا تَحْمِلِي هَدَايَا وَأَلَّا تَكُونِي كَذَلِكَ بِلَا هَدَايَا».

وَهُنَا قَدَّمَتِ الْفَتَاةُ طَرَفَ الْخَيْطِ لِلْقَاضِي، فَطَارَ طَائِرُ الْحَجَلِ فِي الْهَوَاءِ، وَسُرْعَانَ مَا خَرَجَ مِنْ إِحْدَى نَوَافِذِ قَاعَةِ الْمَحْكَمَةِ. عِنْدَئِذٍ لَمْ يَجِدِ الْقَاضِي بُدًّا مِنْ تَنْفِيذِ مَا وَعَدَ بِهِ، وَهُوَ إِعْطَاءُ الْمُهْرِ لِلْأَخِ الْفَقِيرِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمْ بِسُهُولَةٍ، وَطَرَحَ عَلَى الْبِنْتِ الصَّغِيرَةِ سُؤَالًا أَخِيرًا، قَائِلًا لَهَا:

«هَلْ أَبُوكِ فَقِيرٌ إِلَى هَذَا الْحَدِّ الَّذِي يَجْعَلُهُ يَطْمَعُ فِي مُهْرِ أَخِيهِ؟».

كَانَ يُرِيدُ الْإِيقَاعَ بِالْفَتَاةِ، بِحَيْثُ تَعْتَرِفُ بِطَمَعِ وَالِدِهَا وَبِمُحَاوَلَتِهِ سَرِقَةَ مُهْرِ أَخِيهِ، فَأَجَابَتْهُ الْفَتَاةُ قَائِلَةً:

«هَذَا صَحِيحٌ يَا مَوْلَايَ، فَنَحْنُ لَا نَعِيشُ إِلَّا عَلَى مَا نَصْطَادُهُ مِنْ أَرَانِبَ مِنَ النَّهْرِ، وَمَا نَقْتَنِصُهُ مِنْ أَسْمَاكٍ بَيْنَ الْأَشْجَارِ!».

فَصَاحَ الْقَاضِي مُتَعَجِّبًا، وَكَأَنَّهُ قَدِ انْتَصَرَ أَخِيرًا عَلَى تِلْكَ الْفَتَاةِ اللَّبِقَةِ:

«آهٍ، أَنْتِ لَسْتِ ذَكِيَّةً وَلَا حَكِيمَةً كَمَا يَقُولُونَ. فَمُنْذُ مَتَى يَا صَغِيرَةُ صَارَتِ الْأَرَانِبُ تَعِيشُ فِي النَّهْرِ وَالْأَسْمَاكُ تُوجَدُ فِي الْغَابَةِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ؟!».

وَهُنَا أَجَابَتْهُ الصَّبِيَّةُ فِي ثِقَةٍ:

«يَحْـــدُثُ مِثْلُ هَذَا وَأَكْثَرُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَلِـــدُ فِيهَا الْحِصَانُ مُهْرًا صَغِيرًا يَا مَوْلَايَ».

أَخْرَسَ هَذَا الْجَوَابُ الْقَاضِيَ الظَّالِمَ. وَهُنَا كَشَـــفَ الْقَيْصَرُ، مَلِكُ الْبِلَادِ، عَنْ نَفْسِـــهِ وَأَعْلَنَ عَنْ شَـــخْصِيَّتِهِ لِلْجَمِيعِ، وَأَمَرَ بِعَـــزْلِ الْقَاضِي الظَّالِمِ مِنْ مَنْصِبِهِ، وَسَجَنَهُ سِجْنًا مُؤَبَّدًا؛ حَتَّى يُرِيحَ الرَّعِيَّةَ مِنْ ظُلْمِهِ وَطَمَعِهِ وَجَشَعِهِ.

أَمَّا الْفَتَاةُ فَقَدِ اسْـــتَقْبَلَهَا الْقَيْصَرُ أَحْسَنَ الْاسْتِقْبَالِ فِي قَصْرِهِ، وَصَارَتْ مُنْذُ هَذَا الْيَوْمِ، هِيَ وَأَبُوهَا، مِنْ بَيْنِ حَاشِيَتِهِ الْخَاصَّةِ، وَكَانَ نَادِرًا مَا يَتَّخِذُ أَيَّ قَرَارٍ دُونَ أَنْ يَسْتَشِيرَ وَزِيرَتَهُ الصَّغِيرَةَ الْحَكِيمَةَ.

كِتَابُ السِّحْرِ

هَذِهِ الْحِكَايَةُ مُخِيفَةٌ قَلِيلًا، لَكِنَّ نِهَايَتَهَا سَعِيدَةٌ. وَهِيَ مُخِيفَةٌ؛ لأَنَّهَا تَحْكِي عَنْ غُولٍ مِنَ الْغِيلَانِ يَسْكُنُ وَسْطَ غَابَةٍ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ وَمُظْلِمَةٍ، وَلِهَذَا كَانَ النَّاسُ يَتَجَنَّبُونَ الاقْتِرَابَ مِنْهَا؛ خَوْفًا مِنْ ذَلِكَ الْغُولِ.

وَبِرَغْمِ أَنَّ الْغُولَ كَانَ شِـــرِّيرًا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَّصِفُ بِصِفَةٍ وَاحِدَةٍ طَيِّبَةٍ، وَهِيَ حِرْصُهُ الشَّـــدِيدُ عَلَى تَنْظِيفِ بَيْتِهِ وَتَنْظِيمِهِ. وَذَاتَ يَوْمٍ، وَعِنْدَمَا أَرْهَقَهُ تَنْظِيفُ بَيْتِهِ، وَإِشْعَالُ نَارِ الْفُرْنِ، وَغَسْلُ الْأَوَانِي، فَكَّرَ الْغُولُ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا:

«لَابُدَّ لِي أَنْ أَعْثُرَ عَلَى مَنْ يَخْدُمُنِي.. سَـــأَخْطِفُ فِي الصَّبَاحِ أَوَّلَ وَلَدٍ أَوْ بِنْتٍ أَجِدُهُمَا فِي طَرِيقِي».

ثُمَّ نَامَ مُطْمَئِنًّا بَعْدَ أَنْ تَوَصَّلَ إِلَى تِلْكَ الْفِكْرَةِ.

وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِي، نَهَضَ مِنْ نَوْمِهِ قُرْبَ الضُّحَى وَخَرَجَ إِلَى الْغَابَةِ، وَمَا إِنْ مَشَى قَلِيلًا حَتَّى سَمِعَ صَوْتَ طِفْلٍ وَطِفْلَةٍ يَتَحَدَّثَانِ وَيَضْحَكَانِ، فَاقْتَرَبَ مِنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ حَتَّى رَأَى فَتَاةً وَأَخَاهَا يَجْمَعَانِ الْأَعْشَـــابَ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمَا بِسُرْعَةٍ وَحَمَلَهُمَا فِي جَيْبِ سُتْرَتِهِ.

أُصِيبَ الطِّفْلَانِ بِذُعْرٍ شَدِيدٍ، حَتَّى إِنَّهُمَا أُصِيبَا بِالإِغْمَاءِ، وَمَرَّ بَعْضُ الْوَقْتِ حَتَّى اسْتَعَادَا الْوَعْيَ، وَأَدْرَكَا مَا جَرَى لَهُمَا، وَأَنَّهُمَا صَارَا الْآنَ سَجِينَيْنِ فِي بَيْتِ الْغُـــولِ، وَخَادِمَيْنِ لَهُ. وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَخَـــذَا يَقُومَانِ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْبَيْتِ، فَصَارَ الوَلَدُ يَكْنُسُ وَأُخْتُهُ تُشْعِلُ النِّيرَانَ، ثُمَّ تَقُومُ الْبِنْتُ بِإِعْدَادِ بَعْضِ الطَّعَامِ، بَيْنَمَا يُحْضِرُ الْوَلَدُ الْمَاءَ مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي فِي بَاحَةِ الْمَنْزِلِ.

كَانَ الْغُـــولُ مَاهِرًا فِي فُنُونِ السِّـــحْرِ، وَكَانَ لَدَيْهِ كِتَابٌ كَبِيرٌ اسْـــمُهُ كِتَابُ السِّحْرِ، يَجْلِسُ كُلَّ مَسَاءٍ بَعْدَ تَنَاوُلِ الْعَشَاءِ لِيَقْرَأَ فِيهِ، وَيَتَعَلَّمَ الْمَزِيدَ مِنْ فُنُونِ

السِّـــحْرِ، وصَنَعَ تَعْوِيذَةً خَاصَّةً أَلْقَاهَا حَوْلَ الْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا حَاوَلَ الطِّفْلَانِ الْهَرَبَ تَتَشَـــابَهُ عَلَيْهِمَـــا الْأَبْوَابُ، وَكُلَّمَـــا خَرَجَا مِـــنْ بَـــابٍ وَجَدَا نَفْسَـــيْهِمَا بِدَاخِلِ الْبَيْتِ مِنْ جَدِيدٍ. تَعَجَّبَ الْوَلَدُ وَالْبِنْتُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَشَدَّ الْعَجَبِ، حَتَّى مَرَّ شَهْرٌ وَمِنْ بَعْدِهِ شَهْرٌ آخَرُ، وَأَدْرَكَ الْوَلَدُ الذَّكِيُّ سِرَّ الْكِتَابِ الْعَجِيـــبِ، وَلأَنَّهُ كَانَ يُجِيـــدُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ ـ عَلَى عَكْسِ كَثِيرِينَ مِمَّنْ فِي نَفْسِ عُمْرِهِ مِنَ الْكُسَالَى ـ فَقَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْرَأَ مَا فِي الْكِتَابِ وَيَفْهَمَهُ.

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ الْوَلَدُ لأُخْتِهِ إِنَّهُ قَدْ تَعَلَّمَ جَمِيعَ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ مِنْ سِحْرٍ، وَالْآنَ يُمْكِنُهُمَا الْهَرَبُ، بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَ كَيْفَ يُبْطِلُ التَّعْوِيذَةَ الَّتِي أَلْقَاهَا الْغُولُ حَوْلَ أَبْوَابِ الْبَيْتِ.

وَخَرَجَ الْفَتَى وَأُخْتُهُ مِنَ الْكُوخِ الْمَسْحُورِ أَخِيرًا، وَأَخَذَا يَجْرِيَانِ فِي الْغَابَةِ مُدَّةَ سَـــاعَتَيْنِ، وَفَجْأَةً لَحِقَ بِهِمَا الْغُولُ، وَحِينَئِذٍ قَامَ الْوَلَدُ بِالْحَرَكَةِ السِّحْرِيَّةِ الأُولَى فَتَحَوَّلَ هُوَ إِلَى بِرْكَةِ مِيَاهٍ صَغِيرَةٍ وَحَوَّلَ أُخْتَهُ إِلَى سَمَكَةٍ ذَهَبِيَّةٍ تَسْبَحُ فِي الْبِرْكَةِ. فَتَحَوَّلَ الْغُولُ إِلَى صَيَّادٍ بِصِنَّارَةٍ، فَقَامَ الْوَلَدُ بِحَرَكَتِهِ السِّـــحْرِيَّةِ الثَّانِيَةِ وَتَحَوَّلَ إِلَى فُرْنٍ وَحَوَّلَ أُخْتَهُ إِلَى رَغِيفِ خُبْزٍ، وَهُنَا قَامَ الْغُولُ بِتَحْوِيلِ نَفْسِـــهِ

إِلَى نِيرَانٍ كَبِيرَةٍ مُشْتَعِلَةٍ لِيَحْرِقَهُمَا، لَكِنَّ الطِّفْلَيْنِ سُرْعَانَ مَا اسْتَعَادَا شَكْلَهُمَا الْإِنْسَانِيَّ، وَلَاذَا بِالْفِرَارِ.

وَسُرْعَانَ مَا أَصَابَهُمَا التَّعَبُ، وَأَخَذَا يَلْهَثَانِ وَقَدْ تَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُهُمَا، وَأَوْشَكَ الْغُولُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمَا مِنْ جَدِيدٍ، وَهُنَا قَامَ الْوَلَدُ بِحَرَكَتِهِ السِّحْرِيَّةِ الْأَخِيرَةِ؛ حَيْثُ حَوَّلَ أُخْتَهُ إِلَى بَعْضِ حَبَّاتِ الذُّرَةِ الْمُتَنَاثِرَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَاخْتَفَى هُوَ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ.

وَعِنْدَمَا أَدْرَكَ الْغُولُ الْحِيلَةَ، حَوَّلَ نَفْسَهُ إِلَى دِيكٍ لِيَأْكُلَ حَبَّاتِ الذُّرَةِ، وَمَا إِنْ تَحَوَّلَ الْغُولُ إِلَى دِيكٍ حَتَّى حَوَّلَ الْوَلَدُ نَفْسَهُ إِلَى ثَعْلَبٍ، وَهَجَمَ عَلَى الْغُولِ وَمَزَّقَهُ بِأَسْنَانِهِ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ أَكْلِ حَبَّاتِ الذُّرَةِ وَقَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ تَحْوِيلِ نَفْسِهِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ.

هَرَبَ الْغُولُ بَعْدَ أَنْ تَمَزَّقَ جِسْمُهُ إِرْبًا، وَتَرَكَ الطِّفْلَيْنِ يَبْتَعِدَانِ فِي الْغَابَةِ، إِلَى أَنْ وَصَلَا إِلَى مَنْزِلِ أَهْلِهِمَا، وَمَضَتِ الْأَيَّامُ وَصَارَ الْوَلَدُ مَشْهُورًا بِفَضْلِ أَلْعَابِهِ السِّحْرِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَسْتَخْدِمُهَا لِفِعْلِ الْخَيْرِ فَقَطْ.

فَتَاةُ الْكُمَّثْرَى

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، كَانَ هُنَاكَ فَلَّاحٌ فَقِيرٌ يَعِيشُ مِمَّا تُنْتِجُهُ أَرْضُهُ الصَّغِيرَةُ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَرْضِهِ تِلْكَ إِلَّا ثَلَاثُ شَجَرَاتِ كُمَّثْرَى، تُنْتِجُ كُلَّ عَامٍ ثَلَاثَ سِلَالٍ كَبِيرَةٍ مِنْ ثِمَارِ الْكُمَّثْرَى اللَّذِيذَةِ الْجَمِيلَةِ.

وَكَانَ مَلِكُ تِلْكَ الْبِلَادِ طَمَّاعًا جَشِعًا، يَفْرِضُ عَلَى الْفَلَّاحِينَ وَالْفُقَرَاءِ ضَرَائِبَ بَاهِظَةً وَكَبِيرَةً، وَكَانَ عَلَى هَذَا الْفَلَّاحِ أَنْ يُرْسِلَ كُلَّ عَامٍ سَلَّةً كَبِيرَةً مِنَ الْكُمَّثْرَى إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ.. حَتَّى مَرَّ عَامٌ بِتِلْكَ الْبِلَادِ سَاءَتْ فِيهِ أَحْوَالُ الْجَوِّ، وَلَمْ تُثْمِرْ شَجَرَاتُ الْكُمَّثْرَى مَا يَمْلَأُ وَلَوْ سَلَّةً وَاحِدَةً مِنَ الْكُمَّثْرَى، فَلَمْ يَعْرِفِ الْفَلَّاحُ الْفَقِيرُ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ يُعَاقِبُ أَيَّ فَلَّاحٍ يَمْتَنِعُ عَنْ سَدَادِ الضَّرِيبَةِ عِقَابًا شَدِيدًا قَدْ يَصِلُ إِلَى السَّجْنِ مَدَى الْحَيَاةِ، وَلَمْ يَجِدِ الْفَلَّاحُ الْمِسْكِينُ أَمَامَهُ إِلَّا أَنْ يَضَعَ ابْنَتَهُ الصَّغِيرَةَ تَحْتَ ثِمَارِ الْكُمَّثْرَى، بِحَيْثُ يَظُنُّ جَامِعُو

الضَّرَائِبِ أَنَّ السَّلَّةَ مُمْتَلِئَةً عَنْ آخِرِهَا بِثِمَارِ الْكُمَّثْرَى، فَيَتْرُكُونَهُ لِحَالِ سَبِيلِهِ، ثُمَّ يَعُودُ هُوَ بَعْدَ عَامٍ أَوْ نَحْوِهِ لاسْتِرْدَادِ طِفْلَتِهِ الْحَبِيبَةِ عِنْدَمَا يَتَيَسَّرُ لَهُ ذَلِكَ.

تَسَلَّمَ خَدَمُ الْمَلِكِ السَّلَّةَ دُونَ أَنْ يَشُكُّوا فِي أَيِّ شَيْءٍ، وَهَكَذَا ظَلَّتِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ وَحِيدَةً فِي مَخْزَنِ الْغِلَالِ وَالْفَاكِهَةِ تَبْكِي مِنَ الْخَوْفِ، حَتَّى سَمِعَتْ صَوْتَ بُكَائِهَا إِحْدَى الْخَادِمَاتِ، وَذَهَبَتْ تُفَتِّشُ عَنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ، فَرَأَتْهَا وَرَقَّ قَلْبُهَا لَهَا، وَأَخَذَتْهَا مِنَ الْمَخْزَنِ وَعَامَلَتْهَا مِثْلَ ابْنَتِهَا.

وَتَقَرَّرَ أَنْ تَلْتَحِقَ الْبِنْتُ الصَّغِيرَةُ بِالْخَدَمِ فِي الْقَصْرِ، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهَا اسْمَ «بَنَفْسَجَ» لأَنَّ لَوْنَ عَيْنَيْهَا كَانَ بِلَوْنِ زَهْرَةِ الْبَنَفْسَجِ.

نَشَأَتْ «بَنَفْسَجُ» فِي كَنَفِ تِلْكَ الْخَادِمَةِ الْحَنُونِ، ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهَا أُمُّهَا، وَنَشَأَتْ «بَنَفْسَجُ» فَتَاةً كَرِيمَةً رَقِيقَةً لَطِيفَةً، لا تُؤْذِي أَحَدًا وَلا تَرْفُضُ طَلَبًا لأَحَدٍ، وَلا تَكْذِبُ أَوْ تَقُولُ كَلَامًا مُشِينًا.

وَذَاتَ يَوْمٍ، وبَيْنَمَا هِيَ تَسْقِي زُهُورَ أَحَدِ أَحْوَاضِ الْحَدِيقَةِ الْتَقَتْ بِالْأَمِيرِ الَّذِي كَانَ فِي مِثْلِ سِنِّهَا تَقْرِيبًا، فَتَعَارَفَا، وَنَشَأَتْ بَيْنَهُمَا صَدَاقَةٌ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، حَتَّى صَارَا لا يَفْتَرِقَانِ بِالْمَرَّةِ،

كَأَنَّهُمَا أَخٌ وَأُخْتٌ، وَلَيْسَ أَمِيرًا وَخَادِمَةً فَقِيرَةً فِي قَصْرِ أَبِيهِ الْمَلِكِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ رَأَتْ «بَنَفْسَجُ» فِي حُلْمِهَا أَنَّهَا تَخْرُجُ فِي رِحْلَةٍ إِلَى الْغَابَةِ وَتَحْصُلُ عَلَى كَنْزِ السَّاحِرَاتِ الْمَخْبُوءِ فِي مَكَانٍ مَجْهُولٍ، وَتَعُودُ بِهِ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ. وَعِنْدَمَا رَوَتْ هَذَا الْحُلْمَ عَلَى الْخَادِمَاتِ الْأُخْرَيَاتِ بِالْمَطْبَخِ سَخِرْنَ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُنَّ كُنَّ يَشْعُرْنَ بِالْغَيْرَةِ مِنْهَا؛ لِجَمَالِهَا وَطِيبَتِهَا وَعَلَاقَتِهَا الْوَثِيقَةِ بِأَمِيرِ الْبِلَادِ الشَّابِّ.

رَاحَتْ إِحْدَى الْخَادِمَاتِ وَهَمَسَتْ فِي أُذُنِ الْوَزِيرِ بِأَنَّ هُنَاكَ خَادِمَةً اسْمُهَا «بَنَفْسَجُ» تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرُجَ لِلْغَابَةِ وَأَنْ تَسْتَوْلِيَ عَلَى كَنْزِ السَّاحِرَاتِ، لَوْ أَرَادَتْ. ثُمَّ نَقَلَ الْوَزِيرُ هَذِهِ الشَّائِعَةَ إِلَى الْمَلِكِ، الَّذِي كَانَ كَمَا هُوَ دَائِمًا، طَمَّاعًا وَجَشِعًا وَحَرِيصًا عَلَى الْمَالِ وَالذَّهَبِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ فِي الدُّنْيَا.

أَمَرَ الْمَلِكُ بِاسْـتِدْعَاءِ «بَنَفْسَجَ» فِي الْحَالِ، وَسَأَلَهَا عَنْ حَقِيقَةِ مَا يَتَرَدَّدُ فِي الْقَصْرِ، فَسَمِعَتْهُ الْفَتَاةُ بِكُلِّ أَدَبٍ، ثُمَّ قَالَتْ:

«وَلَكِنَّهُ مُجَرَّدُ حُلْمٍ يَا مَوْلَايَ الْمَلِكَ!».

لَكِـنَّ الْمَلِكَ لَمْ يُصَدِّقْهَا، وَأَمَرَهَا بِالْخُـرُوجِ إِلَى الْغَابَةِ، وَعَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْقَصْرِ حَتَّى تَأْتِيَ بِكَنْزِ السَّـاحِرَاتِ، وَإِنْ لَمْ تَعُدْ خِلَالَ شَهْرَيْنِ عَلَى الْأَكْثَرِ، سَـيُطْلِقُ الْكِلَابَ فِي الْغَابَةِ، بَعْدَ أَنْ يُشَـمِّمَهَا ثِيَابَهَا، حَتَّـى تَعْثُرَ عَلَيْهَا أَيْنَمَا كَانَتْ، ثُمَّ تُمَزِّقُهَا بِأَنْيَابِهَا شَرَّ تَمْزِيقٍ.

وَهُنَا حَاوَلَ الْأَمِيرُ الشَّـابُّ أَنْ يُدَافِعَ عَنْهَـا، وَأَنْ يُقْنِعَ وَالِدَهُ بِالرُّجُوعِ عَنْ قَرَارِهِ الظَّالِمِ ذَلِكَ، فَلَمْ يُوَافِقِ الْمَلِكُ بِالْمَرَّةِ، وَنَهَرَهُ وَزَجَرَهُ بِغِلْظَةٍ.

وَهَكَـذَا لَمْ يَكُنْ أَمَـامَ فَتَاةِ الْكُمَّثْرَى الْمِسْـكِينَةِ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْقَصْرِ، وَأَمَامَهَا مُهْلَةُ شَـهْرَيْنِ فَقَطْ لِتَعْثُرَ عَلَى الْكَنْزِ الَّذِي لا يَعْلَـمُ أَحَدٌ مَكَانَهُ، وَإِلَّا سَتُمَزِّقُهَا كِلَابُ الْقَصْرِ.

وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ كَانَتْ بِانْتِظَارِهَا مُفَاجَأَةٌ أُخْرَى لَا يُصَدِّقُهَا عَقْلٌ.

«بَنَفْسَجُ» تَعُودُ إِلَى أَهْلِهَا

وَعِنْدَمَا شَـــعَرَتِ الْخَادِمَةُ الَّتِي رَبَّتْ «بَنَفْسَجَ» بِأَنَّهَا قَدْ لا تَرَاهَا مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا، قَرَّرَتْ أَنْ تُطْلِعَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَيْفَ أَنَّهَا وَجَدَتْهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ رَضِيعَةٌ فِي سَـــلَّةِ الْكُمَّثْرَى، فَذَهَبَتْ إِلَيْهَا وَرَوَتْ عَلَيْهَا حِكَايَتَهَا مُنْذُ أَنْ أَتَتْ إِلَى الْقَصْرِ فِي سَلَّةٍ مِنْ سِلَالِ الْكُمَّثْرَى.

لَمْ تُصَدِّقْ «بَنَفْسَـــجُ» مَا سَمِعَتْهُ بِأُذُنَيْهَا مِنْ أُمِّهَا، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا كَانَ أَوَّلَ مَا فَعَلَتْهُ عِنْدَمَا خَرَجَتْ مِـــنْ أَبْوابِ الْقَصْرِ هُوَ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ فَلَّاحٍ فِي الْبَلَدِ لَدَيْهِ شَجَرَاتُ كُمَّثْرَى.

كَانَتْ تَطْرُقُ الْأَبْوَابَ وَتَسْـأَلُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَمَّا إِنْ كَانُوا قَدْ أَرْسَـلُوا إِلَى الْمَلِكِ قَبْلَ سَـنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ سَـلَّةَ كُمَّثْرَى بِهَا طِفْلَةٌ رَضِيعَةٌ، فَيَضْحَكُ مِنْهَا النَّاسُ وَيَظُنُّونَ أَنَّهَا مَجْنُونَةٌ، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهَا، وَسَأَلَتْهُمْ وَالْيَأْسُ يَكَادُ يَغْلِبُهَا، فَنَهَضَ وَالِدُهَا عِنْدَمَا سَـمِعَ سُـؤَالَهَا مِنْ مَكَانِـهِ، وَاتَّجَهَ إِلَيْهَا وَارْتَمَى عَلَيْهَا يُقَبِّلُهَا وَهُوَ يَبْكِي، وَيَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تُسَـامِحَهُ؛ لِأَنَّهُ تَخَلَّى عَنْهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ رَضِيعَةٌ.

الْتَقَى الْأَهْلُ بِطِفْلَتِهِـمُ الضَّائِعَةِ أَخِيرًا، لَكِنَّ الْحِكَايَـةَ مَازَالَتْ لَهَا بَقِيَّةٌ؛ فَالْمَلِكُ قَدْ تَوَعَّدَهَا إِنْ هِيَ لَمْ تَعْثُرْ عَلَى كَنْزِ السَّـاحِرَاتِ قَبْلَ مُرُورِ شَهْرَيْنِ، انْتَهَى مِنْهُمَا شَهْرٌ تَقْرِيبًا الْآنَ، بِأَنْ تَأْكُلَهَا كِلَابُ الْقَصْرِ.

لَمْ يَكَدْ يَشْـعُرُ الْأَبُ وَالْأُمُّ وَالْأَشِقَّاءُ بِالْفَـرْحَةِ لِلْعُثُورِ عَلَى ابْنَتِهِمْ، حَتَّى شَعَرُوا بِالْحُزْنِ وَالْخَوْفِ مِنْ قَرَارِ الْمَلِكِ الظَّالِمِ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَرَّرَتْ «بَنَفْسَـجُ» أَنْ تُحَاوِلَ الْخُرُوجَ لِلْبَحْثِ عَنِ الْكَنْزِ، فَأَعْطَتْهَا أُمُّهَا بَعْضَ الْمَاءِ وَالزَّادِ، وَزَوَّدَتْهَا أَيْضًا بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى مِثْـلَ: عَظْمَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ، وَمِكْنَسَةٍ صَغِيرَةٍ،

وَقَارُورَةٍ صَغِيرَةٍ بِهَا زَيْتُ زَيْتُونٍ!

لَمْ تَعْرِفْ «بَنَفْسَجُ» مَا فَائِدَةُ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ، لَكِنَّ أُمَّهَا قَالَتْ لَهَا:

«إِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكِ سَوْفَ تَحْتَاجِينَ إِلَيْهَا فِي رِحْلَتِكِ، وَقَلْبُ الْأُمِّ لا يَكْذِبُ أَبَدًا».

وَدَّعَتْ «بَنَفْسَجُ» أَهْلَهَا وَهِيَ تَتَمَنَّى أَنْ تَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى ذَاتَ يَوْمٍ، وَخَرَجَتْ إِلَى الْغَابَةِ، وَرَاحَتْ تَسِيرُ حَتَّى وَجَدَتْ ثَلاثَ نِسَاءٍ غَرِيبَاتِ الشَّكْلِ يَنْتِفْنَ شُعُورَهُنَّ الطَّوِيلَةَ، لِيَكْنُسْنَ بِهَا رَمَادَ الْفُرْنِ الْكَبِيرِ، فَفَكَّرَتْ «بَنَفْسَجُ» قَائِلَةً:

«لَقَدْ أَعْطَتْنِي أُمِّي مِكْنَسَةً وَهُنَّ أَوْلَى بِهَا مِنِّي بَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْتِفْنَ شُعُورَهُنَّ».

وَعِنْدَمَا فَعَلَتْ ذَلِكَ سَعِدَتِ النِّسْوَةُ، وَعِنْدَمَا عَرَفْنَ مِنْهَا إِلَى أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ تَذْهَبَ، وَصَفْنَ لَهَا الطَّرِيقَ حَتَّى قَصْرِ السَّاحِرَاتِ.

«بَنَفْسَجُ» وَكَنْزُ السَّاحِرَاتِ

مَضَتْ «بَنَفْسَجُ» فِي طَرِيقِهَا كَمَا وَصَفَتْهُ لَهَا النِّسَاءُ الثَّلَاثُ، حَتَّى اعْتَرَضَ طَرِيقَهَا إِلَى الْقَصْرِ كَلْبَانِ كَبِيرَانِ وَغَرِيبَانِ، فَأَلْقَتْ لَهُمَا بِالْعَظْمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ زَوَّدَتْهَا أُمُّهَا بِهِمَا قَبْلَ الْخُرُوجِ، فَابْتَعَدَ الْكَلْبَانِ عَنْ طَرِيقِهَا وَرَاحَا يَأْكُلَانِ الْعَظْمَتَيْنِ فِي نَهَمٍ. أَخَذَتْ «بَنَفْسَجُ» تَسِيرُ مِنْ جَدِيدٍ حَتَّى بَلَغَتْ قَصْرَ السَّاحِرَاتِ الْمَهْجُورِ مِنْ مِئَاتِ السِّنِينَ. لَمْ يَكُنِ الْبَابُ مُغْلَقًا بِالْمِفْتَاحِ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ لَمْ تَتَمَكَّنْ «بَنَفْسَجُ» مِنْ فَتْحِهِ؛ لأَنَّهُ كَانَ صَدِئًا. وَهُنَا تَذَكَّرَتْ قَارُورَةَ الزَّيْتِ الصَّغِيرَةَ الَّتِي أَعْطَتْهَا لَهَا أُمُّهَا، فَأَخْرَجَتْهَا وَدَهَنَتْ مِفْصَلَ الْبَابِ بِالزَّيْتِ حَتَّى لَانَ وَانْفَتَحَ أَخِيرًا.

بِسُرْعَةٍ شَـــدِيدَةٍ أَخَذَتْ «بَنَفْسَـــجُ» تَدُورُ فِي أَنْحَاءِ الْقَصْرِ، حَتَّى وَجَدَتْ صُنْدُوقًا عَجِيبًا مُمْتَلِئًـــا بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ وَالْكُنُوزِ، فَحَمَلَتْهُ وَاتَّجَهَتْ نَحْوَ الْبَابِ لِتَعُودَ مُسْرِعَةً، لَكِنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتًا يَقُولُ:

«أَيُّهَا الْبَابُ لَا تَدَعْهَا تَخْرُجْ!».

لَكِنَّ الْبَابَ الَّـــذِي دَهَنَتْهُ بِالزَّيْتِ مُنْذُ قَلِيلٍ انْفَتَحَ أَمَامَهَا؛ شُـــكْرًا لَهَا عَلَى مَعْرُوفِهَا مَعَهُ.

وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَتْ مِنْ مَكَانِ الْكَلْبَيْنِ، سَمِعَتِ الصَّوْتَ نَفْسَهُ يُنَادِي وَيَقُولُ:

«أَيُّهَا الْكَلْبَانِ، لا تَسْمَحَا لَهَا بِالْمُرُورِ!».

لَكِنَّ الْكَلْبَيْنِ تَرَكَاهَا تَمُرُّ؛ اعْتِرَافًا لَهَا بِالْجَمِيلِ؛ لِأَنَّهَا أَطْعَمَتْهُمَا بَعْدَ جُوعٍ طَوِيلٍ.

وَعِنْدَمَا مَرَّتْ مِنْ جَدِيدٍ بِالنِّسْوَةِ الْجَالِسَاتِ إِلَى الْفُرْنِ، تَرَدَّدَ الصَّوْتُ نَفْسُهُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ:

«يَا نِسْوةَ الْفُرْنِ، لا تَتْرُكْنَهَا تَهْرُبُ بِكَنْزِ السَّاحِرَاتِ!».

لَكِنَّ النِّسْوَةَ تَرَكْنَهَا تَمُرُّ، وَقَدَّمْنَ لَهَا الشُّكْرَ عَلَى الْمِكْنَسَةِ الَّتِي أَوْقَفَتْهُنَّ عَنْ نَتْفِ شُعُورِهِنَّ لِتَنْظِيفِ الْفُرْنِ كُلَّ يَوْمٍ.

مَرَّتْ «بَنَفْسَجُ» بِبَيْتِ أُسْرَتِهَا، حَامِلَةً لَهُمُ الْأَخْبَارَ السَّعِيدَةَ، وَشَكَرَتْ أُمَّهَا كَثِيرًا عَلَى هَدَايَاهَا الثَّمِينَةِ الَّتِي أَنْقَذَتْ حَيَاتَهَا. ثُمَّ اتَّجَهَتْ نَحْوَ قَصْرِ الْمَلِكِ، وَهُنَاكَ اسْتَقْبَلَهَا الأَمِيرُ الشَّابُّ بِالتَّرْحَابِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ سَلَّمَ بِضَيَاعِهَا مِنْهُ إِلَى الأَبَدِ، وَحَكَتْ لَهُ «بَنَفْسَجُ» مَا حَدَثَ، وَحَكَتْ لَهُ أَيْضًا حِكَايَةَ وَالِدِهَا مَعَ أَبِيهِ الْمَلِكِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ وَضَعَهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ رَضِيعَةٌ فِي سَلَّةِ الْكُمَّثْرَى؛ لِيَنْجُوَ مِنْ عِقَابِ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهَا الأَمِيرُ:

«لا تُعْطِي أَبِي الْمَلِكَ الصُّنْدُوقَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُعْطِيَكِ شَيْئًا فِي الْمُقَابِلِ، وَإِذَا سَأَلَكِ عَنْ هَذَا الشَّيْءِ فَقُولِي إِنَّكِ تُرِيدِينَ الصُّنْدُوقَ الْأَسْوَدَ الْقَدِيمَ الْمُلْقَى بِبَاحَةِ الْقَصْرِ مُنْذُ أَعْوَامٍ، بِكُلِّ مَا فِيهِ».

وَهَكَذَا كَانَ، وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْمَلِكُ مَطْلَبَ فَتَاةِ الْكُمَّثْرَى فَرِحَ؛ لأَنَّهَا طَلَبَتْ مُقَابِلَ كَنْزِ السَّاحِرَاتِ الثَّمِينِ شَيْئًا رَخِيصًا وَلَا قِيمَةَ لَهُ.

وَأَحْضَرَ الْخَدَمُ الصُّنْـدُوقَ فِي الْحَالِ، وَوَهَبَهُ الْمَلِكُ لَهَـا بِكُلِّ مَا فِيهِ، وَهُنَا خَرَجَ الْأَمِيرُ مِنَ الصُّنْدُوقِ، وَقَدْ صَارَ مِلْكًا هُوَ وَالصُّنْدُوقُ لِـ«بَنَفْسَجَ».

أَعْلَنَ الْأَمِيرُ رَغْبَتَهُ فِي الزَّوَاجِ مِنْ «بَنَفْسَـجَ»، فَلَـمْ يَجِدِ الْمَلِكُ مَهْرَبًا مِنَ الْمُوَافَقَةِ، وَإِلَّا لَأَخَذَتْ «بَنَفْسَجُ» ابْنَهُ وَذَهَبَتْ، بَعْدَ أَنْ صَارَ مِلْكًا لَهَا.

وَهَكَذَا أَدْرَكَ الْمَلِكُ الطَّمَّاعُ أَخِيرًا أَنَّ هُنَاكَ مَا هُوَ أَثْمَنُ مِنَ الْمُجَوْهَرَاتِ وَالذَّهَبِ وَكُنُوزِ الدُّنْيَا.

وَصَارَتْ «بَنَفْسَـجُ»، فَتَاةُ الْكُمَّثْرَى الْفَقِيرَةُ، مَلِكَـةَ الْبِلَادِ، وَدَعَتْ أَهْلَهَا لِلْعَيْشِ مَعَهَا بِالْقَصْرِ، وَعَاشُوا جَمِيعًا عُمْرًا طَوِيلًا فِي خَيْرِ حَالٍ.

سَعِيدُ بْنُ نِـزَارٍ

كَانَ «نِزارٌ» وَالِدُ «سَعِيدٍ» تَاجِرًا ثَرِيًّا. وَكَانَ لِزَوْجَتِهِ «سَمِيرَةَ» الْجَمِيلَةِ ذَاتِ الْحَسَـــبِ وَالنَّسَـــبِ صَدِيقَاتٌ مِنْ بَنَاتِ الْجِنِّ، وَكَانَتْ تَسْهَرُ اللَّيَالِيَ مَعَهُنَّ، يَتَسَامَرْنَ وَيَتَسَلَّيْنَ، خُصُوصًا فِي الْفَتَرَاتِ الَّتِي يَغِيبُ فِيهَا زَوْجُهَا «نِزَارٌ» عَنِ الْبِلَادِ، بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ فِي رِحْلَاتِهِ التِّجَارِيَّةِ إِلَى الشَّامِ أَوْ إِلَى الْيَمَنِ.

وَكَانَتْ صَدِيقَاتُهَا مِنْ بَنَاتِ الْجِنِّ مُسْلِمَاتٍ وَمُؤْمِنَاتٍ، لَا يُؤْذِينَ أَحَدًا وَلَا يَنْطِقْنَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَكَانَتْ «سَمِيرَةُ» كَثِيرًا مَا تَشْكُو لَهُنَّ مِنْ عَدَمِ إِنْجَابِهَا بَعْدَ كُلِّ تِلْكَ السَّنَوَاتِ وَلَدًا أَوْ بِنْتًا، يَمْلَأُ قَلْبَهَا بِالْأَمَانِ وَالْفَرَحِ، وَيَحْمِلُ اسْمَ أَبِيهِ وَيَرِثُ مِنْ بَعْدِهِ مَالَهُ وَتِجَارَتَهُ.

وَذَاتَ يَوْمٍ بَشَّرَتْهَا وَاحِدَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْجِنِّ بِأَنَّهَا رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّهَا سَتَحْمِلُ وَتَلِدُ وَلَدًا جَمِيلًا وَشُـــجَاعًا، يَكُونُ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهَا وَلِأَبِيهِ، وَأَعْطَتْهَا صَفَّارَةً مِنَ النُّحَاسِ الْأَحْمَرِ، مُعَلَّقَةً بِسِلْسِـــلَةٍ مِنَ الذَّهَـــبِ، وَأَوْصَتْهَا أَنْ تُعْطِيَهَا لِابْنِهَا عِنْدَمَا يَبْلُغُ الْعِشْرِينَ عَامًا؛ لِأَنَّهَا صَفَّارَةٌ سِحْرِيَّةٌ، يُمْكِنُهَا أَنْ تُقَدِّمَ لَهُ الْعَوْنَ فِي لَحَظَاتِ الشِّدَّةِ.

عَادَ «نِزَارٌ» مِنْ رِحْلَتِهِ، وَعِنْدَمَا سَمِعَ كَلَامَ زَوْجَتِهِ عَنِ الْبِشَارَةِ الَّتِي أَخْبَرَتْهَا بِهَا وَاحِدَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْجِنِّ، ضَحِـــكَ مِنْهَا وَلَمْ يُصَدِّقْهَا، وَلَكِنَّهُ دَعَا اللهَ الْعَلِيَّ الْقَدِيرَ أَنْ يَرْزُقَهُ الْوَلَدَ الَّذِي طَالَ انْتِظَارُهُ لَهُ.

مَرَّتِ الشُّـــهُورُ وَأَنْجَبَتْ «سَمِيرَةُ» وَلَدًا جَمِيلًا، لَكِنَّهَا مَرِضَتْ بَعْدَ وِلَادَتِهِ مَرَضًا شَـــدِيدًا أَلْزَمَهَا الْفِرَاشَ، وَبِرَغْمِ الْأَطِبَّاءِ وَالْأَدْوِيَةِ فَإِنَّ حَالَتَهَا الصِّحِّيَّةَ كَانَتْ تَتَدَهْوَرُ بِسُرْعَةٍ، وَقَدْ نَحَلَ جِسْمُهَا وَاصْفَرَّ لَوْنُهَا.

أَمَّا «سَعِيدٌ» فَقَدْ تَنَقَّلَ بَيْنَ صُدُورِ الْمُرْضِعَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ، وَقِيلَ مِنْ بَيْنِ مَـــا قِيلَ وَقْتَهَا إِنَّ الْجِنِّيَّاتِ مَنْ صَدِيقَاتِ أُمِّهِ تَعَهَّدْنَ ابْنَهَا «سَـــعِيدًا» بِالرِّعَايَةِ وَالْحَنَانِ خِلَالَ مَرَضِهَا، وَأَنَّهُنَّ وَعَدْنَهَا بِأَلَّا يَتَخَلَّيْنَ عَنْهُ أَبَدًا.

وَذَاتَ لَيْلَةٍ اشْـــتَدَّ الْمَرَضُ عَلَى «سَمِيرَةَ»، وَاسْـــتَدْعَتْ زَوْجَهَا عِنْدَ الْفَجْرِ، وَأَوْصَتْهُ خَيْرًا بِابْنِهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَشْعُرُ بِدُنُوِّ أَجَلِهَا، وَأَعْطَتْهُ الصَّفَّارَةَ النُّحَاسِيَّةَ

الْمَسْحُورَةَ، وَأَوْصَتْهُ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُ عِنْدَمَا يَبْلُغُ أَشُدَّهُ وَيَخْرُجُ لِمُوَاجَهَةِ الْحَيَاةِ.

طَاوَعَهَا زَوْجُهَا فِي كُلِّ مَا قَالَتْهُ، وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَاتٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى أَسْلَمَتْ «سَمِيرَةُ» الرُّوحَ لِبَارِئِهَا، وَتُوُفِّيَتْ وَابْنُهَا الرَّضِيعُ لَمْ يُتِمَّ شَهْرَهُ الْأَوَّلَ.

وَهَكَذَا نَشَأَ «سَعِيدٌ» يَتِيمًا، لَكِنَّ مَا زَادَ طُفُولَتَهُ بُؤْسًا هُوَ أَنَّ وَالِدَهُ تَزَوَّجَ مِنِ امْرَأَةٍ تُرْكِيَّةٍ، عَامَلَتْهُ بِقَسْوَةٍ خِلَالَ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَ يَغِيبُ فِيهَا وَالِدُهُ فِي رِحْلَاتِهِ التِّجَارِيَّةِ، وَمَا إِنْ يَعُدِ الزَّوْجُ إِلَى الدِّيَارِ حَتَّى تَبْكِيَ لَهُ وَتُخْبِرَهُ أَنَّ ابْنَهُ «سَعِيدًا» سَبَّهَا وَضَرَبَهَا، وَالْحَقُّ أَنَّ «سَعِيدًا» كَانَ بَرِيئًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بَرَاءَةً تَامَّةً.

وَمَضَتِ الْأَيَّامُ وَكَبِرَ «سَعِيدٌ»، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مِنْ عَمَلِهِ بِالْمِهَنِ الْمُخْتَلِفَةِ بَعْضَ الْمَالِ، فَطَلَبَ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي إِحْدَى الْقَوَافِلِ التِّجَارِيَّةِ الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى الْهِنْدِ؛ لِيَشْتَرِيَ مِنْ هُنَاكَ التَّوَابِلَ الثَّمِينَةَ وَالْبَخُورَ وَالْمَنْسُوجَاتِ الْحَرِيرِيَّةَ الْمَشْهُورَةَ، وَيَبِيعَهَا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ. خَافَ الْأَبُ الَّذِي بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا عَلَى ابْنِهِ مِنْ أَهْوَالِ الطَّرِيقِ الَّتِي قَدْ يَتَعَرَّضُ لَهَا فِي رِحْلَةٍ كَهَذِهِ، لَكِنَّهُ سَمَحَ لَهُ بِالْخُرُوجِ بَعْدَ أَنْ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ بِذَلِكَ.

وَقَبْــلَ أَنْ يَخْرُجَ «سَــعِيدٌ» مَعَ الْقَافِلَةِ اسْــتَدْعَاهُ وَالِــدُهُ، وَنَصَحَهُ بَعْضَ النَّصَائِحِ الضَّرُورِيَّةِ لأَيِّ تَاجِرٍ مُسْلِمٍ، مِثْلَ الْحِرْصِ عَلَى الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، ثُمَّ تَذَكَّرَ الْأَبُ فَجْأَةً تِلْكَ الصَّفَّارَةَ النُّحَاسِيَّةَ الَّتِي طَلَبَتْ مِنْهُ «أُمُّ سَعِيدٍ» الرَّاحِلَةُ أَنْ يُعْطِيَهَا لابْنِهِمَا عِنْدَمَا يَشْــتَدُّ عُودُهُ وَيَصِيرُ رَجُلًا، فَأَخْرَجَهَا مِنْ صُنْدُوقِهِ وَأَعْطَاهَــا لَهُ، وَحَكَى لَهُ حِكَايَةَ بَنَاتِ الْجِنِّ اللَّاتِــي يُقَالُ إِنَّهُنَّ أَعْطَيْنَهَا لأُمِّهِ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ «سَعِيدٌ»، دُونَ أَنْ يُصَدِّقَ الْأَبُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ، وَلَا «سَعِيدٌ» نَفْسُهُ صَدَّقَهَــا، لَكِنَّهُ وَضَعَهَا فِي عُنُقِهِ؛ مَحَبَّةً لأُمِّهِ الْغَالِيَةِ الَّتِي لَمْ يُكْتَبْ لَهُ أَنْ يَرَاهَا أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْقَافِلَةِ وَهُوَ غَافِلٌ عَــنِ الْأَهْوَالِ وَالْمُغَامَرَاتِ الَّتِي تَنْتَظِرُهُ عَلَى الطَّرِيقِ.

«سَعِيدٌ» وَابْنُ كَبِيرِ اللُّصُوصِ

بَعْدَ شُــهُورٍ طَوِيلَةٍ مِنَ السَّــيْرِ فِي الصَّحْــرَاءِ وَالسُّــهُولِ وَالْوِدْيَانِ بَلَغَتِ الْقَافِلَةُ بِلَادَ الْهِنْدِ أَخِيرًا، وَهُنَاكَ اشْتَرَى «سَعِيدٌ» الْكَثِيرَ مِنَ التَّوَابِلِ وَالتُّحَفِ وَالْمَنْسُوجَاتِ وَالْحُلِيِّ، وَكُلَّ مَا يُمْكِنُ بَيْعُهُ بِسُهُولَةٍ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ.

وَبَيْنَمَا كَانَتِ الْقَافِلَةُ فِي مَسِيرِهَا، خِلَالَ رِحْلَةِ عَوْدَتِهَا إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، هَاجَمَتْهُمْ جَمَاعَةٌ مُسَلَّحَةٌ مِنَ اللُّصُوصِ الَّذِينَ يُغِيرُونَ عَلَى الْقَوَافِلِ التِّجَارِيَّةِ، فَيَقْتُلُونَ تُجَّارَهَا وَيَنْهَبُونَ كُلَّ مَا مَعَهُمْ مِنْ أَمْوالٍ وَبَضَائِعَ. اسْتَلَّ جَمِيعُ رِجَالِ الْقَافِلَةِ سُيُوفَهُمْ، وَأَخَذُوا يُحَارِبُونَ بِشَجَاعَةٍ هَؤُلَاءِ اللُّصُوصَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ «سَــعِيدٌ» حِينَ هَاجَمَهُ ابْنُ كَبِيرِ اللُّصُوصِ، وَكَانَ شَــابًّا فِي مِثْلِ سِنِّهِ وَقُوَّتِهِ،

وَالْأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُشْبِهُهُ تَمَامَ الشَّبَهِ، كَأَنَّ أَحَدَهُمَا عِنْدَمَا يَنْظُرُ إِلَى الآخَرِ يَنْظُرُ إِلَى صُورَتِهِ فِي مِرْآةٍ.

كَانَ ابْنُ كَبِيرِ اللُّصُوصِ، وَاسْمُهُ «سَنْهُورُ بْنُ بَاشُورَ»، قَادِرًا عَلَى قَتْلِ «سَعِيدٍ» فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، رُبَّمَا لأَنَّهُ لَاحَظَ هَذَا الشَّبَهَ الْكَبِيرَ بَيْنَهُمَا، وَرُبَّمَا لأَنَّهُ أَرَادَ الاحْتِفَاظَ بِهِ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهَكَذَا اتَّخَذَهُ أَسِيرًا بَعْدَ أَنْ قَيَّدَهُ وَأَحْكَمَ رِبَاطَهُ.

انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ بِفَوْزِ اللُّصُوصِ، وَفَرَّ مِنَ الْقَافِلَةِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْفِرَارَ مِنَ الرِّجَالِ، وَمَاتَ مَنْ مَاتَ شَهِيدًا وَهُوَ يُدَافِعُ عَنْ مَالِهِ وَمُمْتَلَكَاتِهِ، وَكَانَ «سَعِيدٌ» مِنْ بَيْنِ مَنْ أُسِرُوا واقْتِيدُوا إِلَى قَلْعَةِ كَبِيرِ اللُّصُوصِ «بَاشُورَ»، وَهُوَ لا يَعْرِفُ إِنْ كَانَ اللُّصُوصُ سَوْفَ يَبِيعُونَهُ وَيَصِيرُ عَبْدًا بَعْدَ أَنْ وُلِدَ حُرًّا لأَبَوَيْنِ مِنَ الْكِرَامِ الأَشْرَافِ، أَمْ لَا.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي اقْتِيدَ «سَعِيدٌ» مِنْ سِجْنِهِ لِيَمْثُلَ بَيْنَ يَدَيْ «سَنْهُورَ»، وَلَاحَظَ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ جَدِيدٍ الشَّبَهَ الْعَجِيبَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَلَامِحِ وَالطُّولِ وَحَتَّى نَبْرَةِ الصَّوْتِ. لَمْ يَكُنِ ابْنُ كَبِيرِ اللُّصُوصِ رَاضِيًا عَنْ تِلْكَ الْحَيَاةِ الَّتِي يَعِيشُهَا فِي قَلْعَةِ أَبِيهِ، وَأَنْ يَكُونَ رِزْقُهُمْ مِنَ السَّلْبِ

وَالنَّهْبِ، لِذَا رَاحَ يَسْأَلُ «سَعِيدًا» عَنْ حَيَاتِهِ وَعَنِ الْبِلَادِ الَّتِي جَاءَ مِنْهَا، وَعَنِ الْعُلُومِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا وَهُوَ صَغِيرٌ. وَارْتَاحَ لَهُ «سَعِيدٌ»، بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ وَأَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ فِي رِفْقٍ أَنْ يُرْسِلَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَاءِ وَالزَّادِ إِلَى بَقِيَّةِ الْأَسْرَى مِنَ التُّجَّارِ. وَأَخَذَ «سَعِيدٌ» يُحَدِّثُهُ عَنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، وَعَنْ عُلُومِ اللُّغَةِ وَالْقُرْآنِ الَّتِي دَرَسَهَا وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ. فَأُعْجِبَ «سَنْهُورُ» بِهَذِهِ الْعُلُومِ، لَكِنَّ أَبَاهُ كَبِيرَ اللُّصُوصِ أَمَرَ بِإِعْدَامِ «سَعِيدٍ» فِي الصَّبَاحِ؛ حَتَّى لَا يُفْسِدَ عَقْلَ ابْنِهِ «سَنْهُورَ» أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، فَأَسْلَمَ «سَعِيدٌ» أَمْرَهُ إِلَى اللهِ، وَرَاحَ يُصَلِّي وَيَدْعُو اللهَ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي هَؤُلَاءِ اللُّصُوصِ الْأَشْرَارِ.

وَقَبْلَ الْفَجْرِ انْتَبَهَ «سَعِيدٌ» عِنْدَمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ زِنْزَانَتِهِ، وَهُوَ مُمْسِكٌ بِمِشْعَلٍ صَغِيرٍ. كَانَ هُوَ «سَنْهُورُ»، الَّذِي قَالَ لَهُ:

«لَا يُوجَدُ غَيْرُ سَبِيلٍ وَاحِدٍ لِنَجَاتِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، وَهُوَ أَنْ تَرْتَدِيَ مَلَابِسِي وَتَنَامَ فِي فِرَاشِي؛ حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَهْرُبَ مِنْهُمْ».

فَسَأَلَهُ «سَعِيدٌ» وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ نَفْسَهُ:

«وَمَاذَا عَنْكَ أَنْتَ؟ مَاذَا سَتَفْعَلُ؟».

فَقَالَ لَهُ «سَنْهُورُ»:

«سَأُسَافِرُ إِلَى بِلَادِكَ، بِلَادِ الْعَرَبِ، وَهُنَاكَ أَحِلُّ بَدَلًا مِنْكَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ، وَأَتَعَلَّمُ اللُّغَةَ وَالْبَلَاغَةَ وَالشِّعْرَ، فَهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي بِمَحْضِ إِرَادَتِي، وَسَوْفَ أَنْتَظِرُكَ حَتَّى تَعُودَ فَنُعْلِنَ الْحَقِيقَةَ عَلَى الْجَمِيعِ».

ارْتَدَى «سَنْهُورُ» مَلَابِسَ «سَعِيدٍ» وَانْطَلَقَ عَلَى جَوَادٍ أَسْوَدَ، بَعْدَ أَنْ كَسَرَ نَافِذَةَ الزِّنْزَانَةِ؛ حَتَّى يَظُنَّ اللُّصُوصُ أَنَّ «سَعِيدًا» قَدْ هَرَبَ.

أَمَّا «سَعِيدٌ» فَقَدِ ارْتَدَى مَلَابِسَ «سَنْهُورَ» وَنَامَ فِي فِرَاشِهِ، ولَكِنْ لَمْ يَغْمُضْ لَهُ جَفْنٌ طَوَالَ اللَّيْلِ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكْتَشِفَ أَحَدُهُمْ أَمْرَهُ.

وَكَانَ بِانْتِظَارِهِ الْمَزِيدُ مِنَ الْمُفَاجَآتِ مَعَ عُصْبَةِ اللُّصُوصِ.

«سَعِيدٌ» يَهْرُبُ مِنْ قَلْعَةِ اللُّصُوصِ

اسْتَطَاعَ «سَعِيدٌ» أَنْ يُقْنِعَ الْجَمِيعَ بِأَنَّهُ «سَنْهُورُ»، خِلَالَ الْفَتْرَةِ الَّتِي قَضَاهَا فِي قَلْعَةِ اللُّصُوصِ، وَخَاصَّةً أَنَّ «سَنْهُورَ» كَانَ طَيِّبَ الطِّبَاعِ وَلَيْسَ قَاسِيًا غَلِيظَ الْقَلْبِ مِثْلَ أَبِيهِ وَبَقِيَّةِ اللُّصُوصِ. لَكِنَّ شَخْصًا وَاحِدًا فَقَطْ لَمْ يَقْتَنِعْ تَمَامًا بِهَذَا، وَكَانَتْ هِيَ «نُومِيرَا» زَوْجَةُ «سَنْهُورَ»، الَّتِي لَاحَظَتْ تَغَيُّرَ زَوْجِهَا، وَابْتِعَادَهُ عَنْهَا، وَعَدَمَ تَحَدُّثِهِ إِلَيْهَا تَمَامًا.

رَاحَتْ «نُومِيرَا» تُحَاوِلُ بِكُلِّ الطُّرُقِ أَنْ تَكْتَشِفَ الْحَقِيقَةَ، وَتَسْأَلَ «سَعِيدًا» أَسْئِلَةً كَثِيرَةً لِتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ زَوْجَهَا.

وَبَعْدَ تَحْقِيقٍ قَصِيرٍ تَأَكَّدَ كَبِيرُ اللُّصُوصِ أَنَّهُ لَيْسَ ابْنَهُ، فَأَمَرَ بِتَعْذِيبِهِ حَتَّى يَنْطِقَ بِالْحَقِيقَةِ، وَبَعْدَ لَيَالٍ قَاسِيَةٍ قَضَاهَا «سَعِيدٌ» فِي السِّجْنِ اعْتَرَفَ بِالْمُؤَامَرَةِ

الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا مَعَ «سَــنْهُورَ»، فَحَكَمُوا عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ مَرَّةً أُخْرَى، وَفِي اللَّيْلَةِ الْأَخِيــرَةِ الَّتِي قَضَاهَا فِي زِنْزَانَتِهِ قَبْلَ إِعْدَامِهِ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ هَذِهِ الْمَرَّةَ لِإِنْقَاذِهِ، فَتَذَكَّرَ أَبَاهُ وَأَهْلَهُ وَمَوْطِنَهُ، وَتَذَكَّرَ أُمَّهُ الَّتِي لَمْ يَرَهَا فِي حَيَاتِهِ أَبَدًا، وَهُنَا تَذَكَّرَ الصَّفَّارَةَ النُّحَاسِيَّةَ، وَمِنْ شِدَّةِ حُزْنِهِ رَاحَ يُقَبِّلُهَا وَهُوَ يَبْكِي، وَبِدُونِ أَنْ يَقْصِدَ نَفَخَ فِيهَا، وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى ظَهَرَ نُورٌ هَائِلٌ فِي الزِّنْزَانَةِ وَخَرَجَتْ مِنْهُ جِنِّيَّةٌ طَيِّبَةٌ شَابَّةٌ.

عِنْدَمَا رَأَى «سَــعِيدٌ» الْجِنِّيَّةَ كَادَ يَفْقِدُ الْوَعْيَ، وَرَاحَ يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، وَلَكِنَّهَا طَمْأَنَتْهُ وَشَهِدَتْ أَمَامَهُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقَالَتْ لَهُ إِنَّهَا وَاحِدَةٌ مِنْ صَدِيقَاتِ أُمِّهِ رَحِمَهَا اللهُ.

وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ أَخْرَجَتْهُ الْجِنِّيَّةُ مِنَ الْقَلْعَةِ وَوَجَدَ نَفْسَــهُ فِي وَاحَةٍ خَضْرَاءَ بَعِيدةٍ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ قَلْعَةِ اللُّصُوصِ.

نَفَخَ «سَعِيدٌ» فِي الصَّفَّارَةِ مِنْ جَدِيدٍ فَعَادَ الضَّوْءُ الشَّدِيدُ وَخَرَجَتْ مِنْهُ الْجِنِّيَّةُ نَفْسُهَا مَرَّةً أُخْرَى.

وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ طَلَبَ مِنْهَا «سَعِيدٌ» أَنْ يَــرَى أَهْلَهُ وَبَيْتَهُ مِنْ جَدِيدٍ، فَنَصَحَتْهُ الْجِنِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ أَلَّا يَتَعَجَّلَ بِالذَّهَابِ إِلَى هُــنَاكَ، وَأَنْ

يَكْتَفِيَ فِي الْبِدَايَةِ بِأَنْ يُطِلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعِيدٍ. فَسَـأَلَهَا: وَكَيْفَ يَتَسَنَّى لَهُ ذَلِكَ؟ فَأَخَذَتْهُ مِنْ يَدِهِ نَحْوَ جَدْوَلِ مَاءٍ قَرِيبٍ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَلْمِسَ بِأَصَابِعِهِ سَطْحَ الْمَاءِ وَيُسَمِّيَ اللهَ.

انْحَنَى «سَـعِيدٌ» عَلَى جَدْوَلِ الْمَاءِ، وَمَسَّ سَطْحَهُ بِأَصَابِعِهِ وَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ، فَرَأَى أَمَامَهُ بَيْتَهُ الْقَدِيمَ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَرَأَى «سَنْهُورَ»، ابْنَ كَبِيرِ اللُّصُوصِ، يَجْلِسُ مَكَانَهُ إِلَى جِوَارِ أَبِيهِ وَمَعَهُمَا بَعْضُ الضُّيُوفِ وَيَشْـرَبُونَ شَرَابَ التَّمْرِ بِالْحَلِيبِ. وَهُنَا تَذَكَّرَ «سَعِيدٌ» أَنَّ شَخْصًا آخَرَ قَدِ احْتَلَّ مَكَانَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ سَيَعُودُ إِلَى بَيْتِهِ وَأَهْلِهِ بَعْدَ هَذَا.

وَقَبْلَ أَنْ يُتَابِـعَ تِلْكَ الْأَفْكَارَ رَأَى جُنُودَ الْخَلِيفَةِ يَأْخُذُونَ «سَنْهُورَ» مِنْ بَيْنِ ذِرَاعَيْ وَالِدِهِ، وَيَجُرُّونَهُ جَرًّا إِلَى السِّجْنِ، بِتُهْمَةِ أَنَّهُ يَكْتُبُ قَصَائِدَ شِعْرٍ يَتَغَزَّلُ فِيهَا بِابْنَةِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِيرَةِ «حَسْنَاءَ».

وَهَكَذَا رَأَى «سَعِيدٌ» شَبِيهَهُ «سَنْهُورَ» وَهُوَ يُقَادُ إِلَى السِّجْنِ، وَرُبَّمَا يَقُودُونَهُ فِيمَا بَعْدُ إِلَى حَبْلِ الْمِشْنَقَةِ، وَرَأَى أَبَاهُ وَهُوَ يَحْزَنُ عَلَى فِرَاقِ ابْنِهِ مِنْ جَدِيدٍ، وَيَسْقُطُ مَرِيضًا طَرِيحَ الْفِرَاشِ، تَتَشَفَّى فِيهِ وَتُوَبِّخُهُ زَوْجَتُهُ الثَّانِيَةُ.

هُنَا طَلَبَ «سَعِيدٌ» مِنَ الْجِنِّيَّةِ أَنْ تَأْخُذَهُ إِلَى أَبِيهِ فِي الْحَالِ. وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ كَانَ هُنَاكَ، وَخَشِيَ عَلَى أَبِيهِ مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ وَالْقَلَقِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ عَفَا عَنْهُ، وَلَمْ يَحْكِ لَهُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ اللُّصُوصِ. اطْمَأَنَّ قَلْبُ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ وَنَهَضَ عَنِ الْفِرَاشِ، وَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ السَّيِّئَةَ ثُمَّ أَرْسَلَهَا إِلَى أَهْلِهَا.

وَكَانَ عَلَى «سَعِيدٍ» الْآنَ أَنْ يَتَحَرَّكَ لِيُخَلِّصَ «سَنْهُورَ» مِنْ سِجْنِهِ كَمَا خَلَّصَهُ هُوَ مِنَ السِّجْنِ ذَاتَ يَوْمٍ، وَلَكِنَّهُ نَسِيَ أَنَّهُ يُشْبِهُهُ تَمَامَ الشَّبَهِ، وَهَكَذَا خَرَجَ لِلشَّارِعِ شَارِدًا هَائِمًا، فَقَبَضَ جُنُودُ الْخَلِيفَةِ عَلَيْهِ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ نَجَحَ فِي الْهَرَبِ مِنَ السِّجْنِ، وَقَادُوهُ هُوَ أَيْضًا إِلَى السِّجْنِ. وَهُنَاكَ كَانَتْ تَنْتَظِرُهُمَا الْمُفَاجَأَةُ!

«سَعِيدٌ» وَ«سَنْهُورُ» يَنْجُوَانِ مِنَ الْمَوْتِ

فَتَحَ الْجُنُودُ بَابَ الزِّنْزَانَةِ الَّتِي سُجِنَ فِيهَا «سَنْهُورُ»، بِتُهْمَةِ إِلْقَاءِ قَصَائِدَ يَتَغَزَّلُ فِيهَا بِابْنَةِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِيرَةِ «حَسْنَاءَ»، وَهُنَاكَ أَلْقَوْا بِـ«سَعِيدٍ»، لَكِنَّهُمُ اكْتَشَفُوا أَنَّ السَّجِينَ الْأَوَّلَ مَازَالَ بِالزِّنْزَانَةِ كَمَا تَرَكُوهُ. احْتَارَ رَئِيسُ الْحَرَسِ، وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا يَفْعَلُ، فَأَبْلَغَ الْوَزِيرَ بِمَا حَدَثَ.

وَفِي الزِّنْزَانَةِ رَاحَ «سَعِيدٌ» يَحْكِي لِـ«سَنْهُورَ» مَا حَدَثَ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُ، وَكَيْفَ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْإِعْدَامِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَكَيْفَ اسْتَعَانَ بِالصَّفَّارَةِ النُّحَاسِيَّةِ، وَكَيْفَ سَاعَدَتْهُ الْجِنِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ عَلَى الْهَرَبِ. وَحَكَى «سَنْهُورُ» لِـ«سَعِيدٍ» كَيْفَ سَافَرَ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ، وَتَعَرَّفَ عَلَى أَبِيهِ وَأَهْلِهِ، وَأَقْنَعَهُمْ أَنَّهُ وَلَدُهُمْ «سَعِيدٌ»، وَكَيْفَ صَارَ مِنْ أَشْهَرِ شُعَرَاءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَيْفَ أُغْرِمَ بِابْنَةِ الْخَلِيفَةِ

«حَسْنَاءَ» عِنْدَمَا شَاهَدَهَا فِي مَوْكِبٍ كَبِيرٍ، فَانْطَلَقَ يَقُولُ فِيهَا الشِّعْرَ، وَيُرْسِلُ لَهَا الرَّسَـائِلَ وَالْقَصَائِدَ مَعَ كُلِّ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا. وَكَيْفَ أَنَّهَا بَادَلَتْهُ الْمَشَاعِرَ، وَجَاوَبَتْ رَسَائِلَهُ وَقَصَائِدَهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا.

نَفَخَ «سَعِيدٌ» فِي الصَّفَّارَةِ، وَعِنْدَمَا ظَهَرَ الضَّوْءُ وَخَرَجَتْ مِنْهُ الْجِنِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ، حَكَى لَهَا مَا جَرَى مَعَ «سَنْهُورَ» صَدِيقِهِ ابْنِ كَبِيرِ اللُّصُوصِ، فَأَخْبَرَتْهُمَا بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدِ اتَّخَذَ عَهْدًا مَعَ كَبِيرِ سَـلَاطِينِ الْجَانِّ، وَهَكَذَا فَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْرِجَهُمَا مِنْ سِـجْنِهِمَا، وَإِنْ حَاوَلَتْ فَقَدْ نَقَضَتِ الْعَهْـدَ وَحَقَّ عَلَيْهَا أَنْ تُحْرَقَ بِالنِّيرَانِ، وَبِذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَيٌّ مِنْهُمَا كَيْفَ يَتَخَلَّصُ مِنْ ذَلِكَ الْمَأْزِقِ، إِلَى أَنِ اقْتَرَحَ «سَـنْهُورُ» أَنْ تَذْهَبَ الْجِنِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ إِلَى ابْنَةِ السُّلْطَانِ، مُتَنَكِّرَةً فِي زِيِّ امْرَأَةٍ مِنَ الْإِنْسِ؛ لِتُخْبِرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ وَلِـ«سَعِيدٍ».

كَانَتِ الْأَمِيرَةُ «حَسْـنَاءُ» طَرِيحَةَ الْفِرَاشِ مُنْذُ أَنْ عَلِمَتْ بِسَـجْنِ الشَّاعِرِ الَّذِي أَحَبَّتْهُ، وَبِقَـرَارِ أَبِيهَا بِأَنْ يُعْدِمَهُ، وَعِنْدَمَا عَلِمَـتِ الْجِنِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ بِهَذَا، تَنَكَّرَتْ فِي هَيْئَـةِ مُعالِجَةٍ بَدَوِيَّةٍ يُمْكِنُهَا أَنْ

تُعالِجَ النَّـاسَ، وَتُعَالِجَ أَمْرَاضَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ، وَطَلَبَـتْ مُقَابَلَةَ الْأَمِيرَةِ ابْنَةِ الْخَلِيفَةِ. وَمَا إِنْ دَخَلَـتْ عَلَيْهَا مَخْدَعَهَا حَتَّى حَكَتْ لَهَا حِكَايَةَ «سَـعِيدٍ» وَ«سَنْهُورَ»، وَأَنَّهَا بِوُسْعِهَا أَنْ تُنْقِذَهُمَا مِنَ الْمَوْتِ إِذَا أَتَتْ مَعَهَا.

وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ طَارَتِ الْجِنِّيَّـةُ الطَّيِّبَةُ وَاخْتَفَتْ فِي الْهَوَاءِ وَقَدِ اصْطَحَبَتْ مَعَهَا الْأَمِيرَةَ «حَسْـنَاءَ». وَاجْتَمَعَ «سَعِيدٌ» وَ«سَـنْهُورُ» بِكُلٍّ مِنَ الْجِنِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ وَالْأَمِيرَةِ «حَسْـنَاءَ» فِي الزِّنْزَانَةِ، يَجْمَعُهُمُ الْحُزْنُ وَالْبُكَاءُ، وَهُمْ لا يَدْرُونَ كَيْفَ يَخْرُجُونَ مِنْ تِلْكَ الْوَرْطَةِ. وَلَكِنَّ الْخَلِيفَةَ كَانَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَهُنَا قَرَّرَ أَنْ يَمْثُلُوا جَمِيعًا أَمَامَهُ، وطَلَبَ مِنْ «سَعِيدٍ» أَنْ يَمْنَحَهُ الصَّفَّارَةَ السِّحْرِيَّةَ؛ حَتَّى لا يَعُودَ لاسْـتِخْدَامِهَا مَتَى شَاءَ، وَيَفْعَلَ مَا أَرَادَ بِمُسَـاعَدَةِ الْجِنِّيَّاتِ. وَعَلَى الْفَوْرِ وَافَقَ «سَعِيدٌ»، لَكِنَّهُ طَلَبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يَتْرُكَ لَهُ السِّلْسِلَةَ الذَّهَبِيَّةَ عَلَى الْأَقَـلِّ؛ لأَنَّهَا تُذَكِّرُهُ بِأُمِّهِ الرَّاحِلَةِ، فَتَرَكَهَا لَـهُ الْخَلِيفَةُ وَأَخَذَ الصَّفَّارَةَ، لَكِنَّهُ عِنْدَمَا نَفَخَ فِيهَـا لَمْ يَظْهَرْ أَيُّ ضَوْءٍ وَلَمْ تَأْتِ أَيُّ جِنِّيَّةٍ، فَاحْتَفَظَ بِهَا مَعَهُ وَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ هَذِهِ الْقُدْرَةَ كَانَتْ مَقْصُورَةً عَلَى «سَعِيدٍ» فَقَطْ.

ثُمَّ طَلَبَ الْخَلِيفَةُ من «سَـنْهُورَ» أَنْ يَخْرُجَ عَـلَى رَأْسِ حَمْلَةٍ لِلْقَضاءِ عَلَى اللُّصُوصِ وقُطَّاعِ الطَّرِيقِ، فَوَافَقَ عَلَى الْفَوْرِ.

ثُمَّ تَزَوَّجَ «سَنْهُورُ» مِنَ الْأَمِيرَةِ وَصَارَ شَاعِرَ الْخَلِيفَةِ، وَكَذَلِكَ تَزَوَّجَ «سَعِيدٌ» مِنْ أَمِيرَةٍ أُخْرَى وَصَـارَ مِنْ أَكْبَرِ تُجَّارِ الْبِلَادِ، وَبَقِيَـا صَدِيقَيْنِ مُقَرَّبَيْنِ حَتَّى أَدْرَكَهُمَا الْكِبَرُ، وَصَارَ أَوْلَادُهُمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَكَأَنَّـهُمْ أَشِقَّاءُ مِنْ أُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ.

حِكَايَةُ الثَّعْلَبِ وَالْغُرَابِ الْأَحْمَقِ

ذَاتَ يَــوْمٍ، عَثَرَ الْغُرَابُ عَــلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْجُبْنِ اللَّذِيــذِ، فَالْتَقَطَهَا ثُمَّ طَارَ بِسُرْعَةٍ وَحَطَّ عَلَى فَرْعِ شَجَرَةٍ لِيَأْكُلَهَا بِاطْمِئْنَانٍ. وَمَرَّ الثَّعْلَبُ الْمَكَّارُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ الْغُرَابُ قِطْعَةَ الْجُبْنِ، وَقَدْ أَغْرَتْهُ قِطْعَةُ الْجُبْنِ تِلْكَ وَتَمَنَّى لَوِ اسْــتَطَاعَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا مِنْهُ.

دَبَّرَ الثَّعْلَبُ خُطَّةً لِيَسْرِقَ قِطْعَةَ الْجُبْنِ مِنَ الْغُرَابِ، فَرَاحَ يُخَاطِبُهُ قَائِلًا:

«مَا أَجْمَلَكَ! لَمْ أُشَاهِدْ خِلَالَ عُمْرِي الطَّوِيلِ فِي الْغَابَةِ غُرَابًا كَبِيرًا وَعَظِيمًا مِثْلَكَ! أَنْتَ طَائِرٌ نَادِرُ الْمِثَالِ، وَلَا يُوجَدُ مَنْ يُبَارِيكَ فِي الْحُسْــنِ وَالْجَمَالِ، فَلَكَ رِيشٌ لَامِعٌ وَسَاقَانِ رَشِيقَتَانِ، تَلِيقَانِ بِطَائِرٍ أَصِيلٍ وَنَبِيلٍ!!».

رَاحَ الْغُرَابُ يَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ الْمَعْسُــولَ وَهُوَ لا يُصَدِّقُ مَا يَسْمَعُ؛ فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْمَرَّةَ الْأُولَى الَّتِي يُبْدِي أَحَدُ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ إِعْجَابَهُ بِمَنْظَرِهِ أَوْ بِجَمَالِهِ.

قَرَّرَ الثَّعْلَبُ أَنْ يَتَمَادَى فِي مَدِيحِهِ وَثَنَائِهِ لِلْغُرَابِ؛ حَتَّى يُسْقِطَ قِطْعَةَ الْجُبْنِ مِنْ فَمِهِ بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ، فَقَالَ لَهُ بِصَوْتٍ نَاعِمٍ وَأُسْلُوبٍ مُدَاهِنٍ:

«مَــا أَجْمَلَ عَيْنَيْكَ! إِنَّهُمَا مُعَبِّرَتَانِ تَمَامًا! أَنْتَ لَكَ حَقًّا عَيْنَا غُرَابٍ أَصِيلٍ وَنَبِيلٍ! فَمُنْذُ أَنْ بَدَأْتُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ لَمْ أَجِدْ فِيكَ أَيَّ عَيْبٍ أَوْ نَقْصٍ أَوْ قُصُورٍ! لَقَدْ خَلَقَكَ اللهُ ـ سُــبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عَلَى أَحْسَــنِ صُورَةٍ وَأَتَمِّ هَيْئَةٍ، حَتَّى إِنَّكَ

تَسْــتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا مُتَوَّجًا عَلَى جَمِيعِ الطُّيُورِ، بَلْ وَعَلَى جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ كُلِّهَا!».

وَهُنَا قَرَّرَ الثَّعْلَبُ أَنْ يَضْرِبَ ضَرْبَتَــهُ الْأَخِيرَةَ، فَبَدَأَ يَقُولُ بِنَفْسِ الصَّوْتِ الْمُدَاهِنِ الْمَعْسُولِ:

«إِنَّنِي لَمْ أَسْــتَمِعْ بَعْدُ إِلَى صَوْتِكَ أَيُّهَــا الْمَخْلُوقُ السَّــاحِرُ، أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ سَــيَكُونُ أَجْمَلَ مِنْ صَوْتِ الْبَلَابِلِ وَأَجْمَــلَ مِنْ صَيْحَــةِ الْكَــرَوَانِ وَتَغْرِيدِ الْعَصَافِيرِ. أَظُــنُّ أَنَّ طَائِرًا مِثْلَــكَ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْحُسْــنِ وَالْجَمَالِ لَابُدَّ أَنَّ صَوْتَهُ مِنْ أَجْمَــلِ وَأَعْذَبِ الْأَصْــوَاتِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِأَكْمَلِهَا!».

وَهُنَا بَدَأَتِ الشُّكُوكُ تُــرَاوِدُ الْغُــرَابَ، فَــإِنَّ صَوْتَــهُ بِالــذَّاتِ ـ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْغِرْبَانِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ـ قَبِيحٌ وَمُزْعِــجٌ إِلَى أَبْعَــدِ الْحُدُودِ، بَلْ إِنَّ الْبَعْضَ يَتَشَــاءَمُ إِذَا سَــمِعَ بِالْمُصَادَفَةِ صَوْتَ الْغُرَابِ، الْمُسَمَّى نَعِيقًا، لَكِنَّ الْغُــرَابَ تَجَاهَلَ جَمِيعَ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْوَاضِحَةِ وُضُوحَ الشَّمْسِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَسْــمَعْ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ يَتَغَزَّلُ بِصَوْتِ الْغِرْبَانِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَ مُخْتَلِفًا؛ فَهَذَا الثَّعْلَبُ يَتَحَدَّثُ عَنْ صَوْتِهِ هُوَ، وَرُبَّمَا يَكُونُ هُوَ مُخْتَلِفًا عَنْ جَمِيعِ الْغِرْبَانِ، بِمَا أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الْكَمَالَ مِنْ حُسْنِ الصُّورَةِ وجَمالِ الْهَيْئَةِ.

وَأَمَامَ كُلِّ هَذَا الْكَلَامِ الْمَعْسُــولِ وَالتَّوَسُّلِ الشَّدِيدِ مِنْ جَانِبِ الثَّعْلَبِ، لَمْ يَسْــتَطِعِ الْغُرَابُ أَنْ يَصْمُدَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَظَلَّ مُغْلِقًا مِنْقَارَهُ عَلَى قِطْعَةِ الْجُبْنِ الْكَبِيرَةِ اللَّذِيذَةِ، فَفَتَحَــهُ أَخِيرًا، وَبِأَعْلَى صَوْتِهِ رَاحَ يَنْعِقُ نَعِيقًا قَبِيحًا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُغَنِّي أَحْلَى الْأُغْنِيَّاتِ.

وَفِي الْحَالِ سَــقَطَتْ قِطْعَةُ الْجُبْنِ، وَلَمْ يَبْقَ أَمَامَ الثَّعْلَبِ سِــوَى أَنْ يَفْتَحَ

فَكَّيْهِ عَلَى اتِّسَاعِهِمَا لِكَيْ يَتَلَقَّفَهَا فِي فَمِهِ، وَأَخَذَ يَأْكُلُهَا بِشَهِيَّةٍ وَمُتْعَةٍ لا مَزِيدَ عَلَيْهِمَا، وَشَعَرَ بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّهَا تَمَامًا بَعْدَ أَنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي إِغْرَاءِ هَذَا الْغُرَابِ الْأَحْمَقِ، وَبَعْدَ أَنِ اضْطُرَّ أَيْضًا لاحْتِمَالِ صَوْتِ نَعِيقِهِ البَشِعِ.

وَأَخِيرًا رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ الْغُرَابِ، وَخَاطَبَهُ قَائِلًا:

«اصْمُتْ أَيُّهَا الْغُرَابُ الْغَبِيُّ، فَإِنَّ صَوْتَكَ قَبِيحٌ وَمُزْعِجٌ لِلْغَايَةِ، وَلَمْ أَرَ فِي حَيَاتِي طَائِرًا أَبْشَعَ مِنْكَ، وَلَمْ أُصَادِفْ فِي حَيَاتِي كُلِّهَا مَخْلُوقًا أَحْمَقَ مِنْكَ. وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ نِلْتُ مَا أُرِيدُهُ، أَشْكُرُكَ عَلَى قِطْعَةِ الْجُبْنِ، وَلَا أَنْصَحُكَ بِالاسْتِمَاعِ إِلَى مَنْ يُنَافِقُكَ بَعْدَ الْآنَ».

حِكَايَةُ الذِّئْبِ الْغَبِيِّ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ هُنَاكَ ذِئْبٌ فِي الْغَابَةِ، أَخَذَ يَسِيرُ وَيَسِيرُ بَحْثًا عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ وَيُشْبِعُ بِهِ جُوعَهُ، حَتَّى قَابَلَ حِمَارًا، فَهَمَّ بِأَنْ يَفْتَرِسَهُ، فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ:

«هَلْ جُنِنْتَ أَيُّهَا الذِّئْبُ حَتَّى تَأْكُلَنِي الْآنَ؟ أَلَا تَعْرِفُ أَنَّ لَحْمَ الْحَمِيرِ إِذَا أُكِلَ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَكُونُ مَسْمُومًا، وَيَفْتِكُ بِمَنْ أَكَلَهُ فِي الْحَالِ؟!!».

وَصَدَّقَهُ الذِّئْبُ وَاسْتَسْلَمَ لِلنَّوْمِ، وَمَا إِنِ اسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ حَتَّى لَاذَ الْحِمَارُ بِالْفِرَارِ، مُنْدَهِشًا مِنْ هَذَا الذِّئْبِ الْغَبِيِّ.

وَفِي الصَّبَاحِ لَمْ يَجِدِ الذِّئْبُ أَثَرًا لِلْحِمَـارِ، وَانْتَظَرَهُ حَتَّى الظَّهِيرَةِ دُونَ أَنْ يَعُودَ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُ هَزِئَ بِهِ،فَسَارَ فِي الْغَابَةِ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَفْتَرِسَ أَوَّلَ كَائِنٍ حَيٍّ يَلْتَقِي بِهِ. وَأَخَذَ يَسِيرُ حَتَّى وَجَدَ عَنْزَةً ظَرِيفَةً وَرَشِيقَةً، فَقَالَ لَهَا:

«اعْذُرِينِي أَيَّتُهَا الْعَنْزَةُ، فَأَنَا لَابُدَّ أَنْ أَلْتَهِمَكِ الْآنَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ مِنَ الْجُوعِ».

فَقَالَتْ لَهُ الْعَنْزَةُ الذَّكِيَّةُ:

«سَـيِّدِي الذِّئْبَ، أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَكِنِ اسْـمَحْ لِي بِنَصِيحَةٍ صَغِيرَةٍ: لَابُدَّ أَنْ يُؤْكَلَ لَحْمُ الْمَاعِزِ مُتَبَّلًا بِالْمِلْـحِ وَالْفُلْفُلِ وَالْبُهَارَاتِ، وَإِلَّا يَكُونُ طَعْمُهُ بَشِـعًا. وَإِنْ شِئْتَ يُمْكِنُنِي أَنْ أُسْـرِعَ بِإِحْضَارِ بَعْضِ التَّوَابِلِ وَالْبُهَارَاتِ مِنْ هَذِهِ الْمَزْرَعَةِ الْقَرِيبَةِ، وَأَعُودَ إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّـمْسُ؛ لِتَأْكُلَنِي بِالْهَنَاءِ وَالشِّفَاءِ».

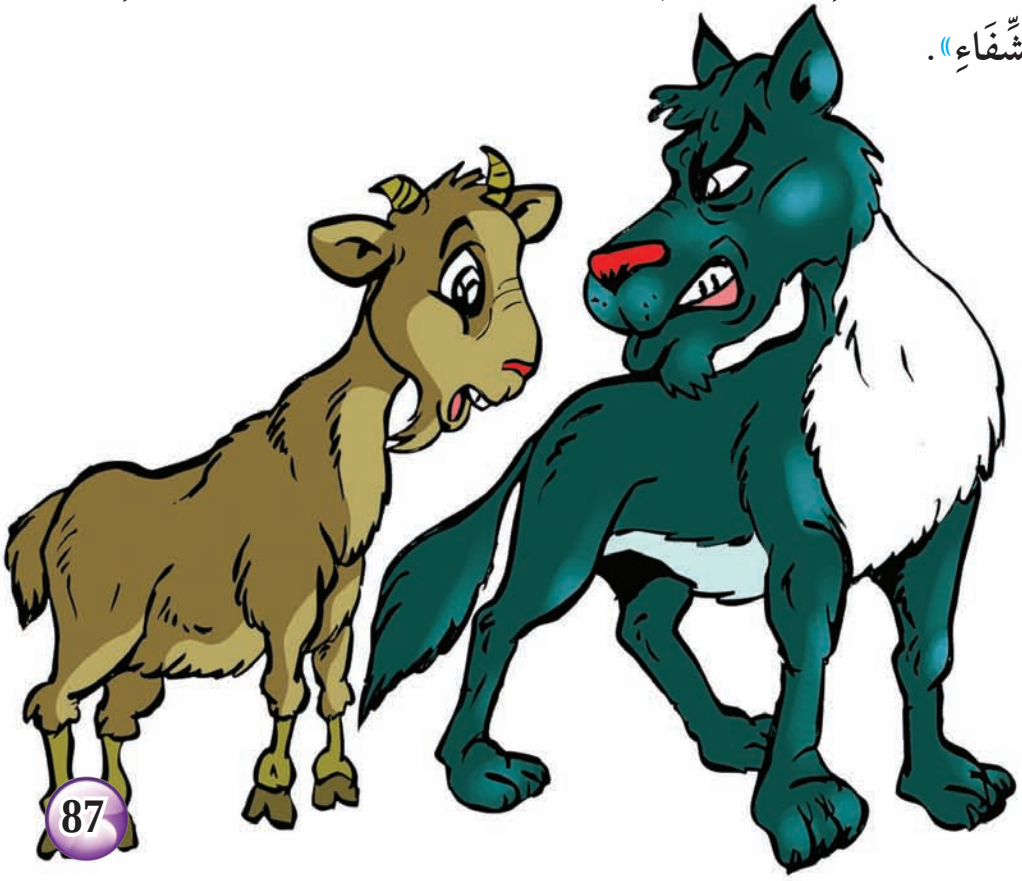

وَافَقَ الذِّئْبُ الْغَبِيُّ عَلَى اقْتِرَاحِ الْعَنْزَةِ، وَتَرَكَهَا تَفِرُّ مِنْهُ وَوَقَفَ يَنْتَظِرُهَا حَتَّى غَرُبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ حَلَّ اللَّيْلُ وَطَلَعَ الْقَمَرُ دُونَ أَنْ يَظْهَرَ لَهَا ظِلٌّ، فَأَدْرَكَ أَنَّهَا سَخِرَتْ مِنْه مِثْلَ الْحِمَارِ.

وَهُنَا أَوْشَكَ الذِّئْبُ عَلَى الْجُنُونِ ، وَبِالْقُرْبِ رَأَى حِصَانًا يَرْعَى فِي حَقْلٍ، فَأَسْرَعَ بِالذَّهَابِ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ سَيَأْكُلُهُ فِي الْحَالِ، فَوَافَقَ الْحِصَانُ رَاضِيًا وَقَالَ لَهُ:

«وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَلْتَهِمَنِي يَا سَيِّدِي الذِّئْبَ سَاعِدْنِي عَلَى تَنْفِيذِ الْوَصِيَّةِ الْأَخِيرَةِ لأَبِي؛ فَقَدْ طَالَبَنِي أَنْ أَعْرِفَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ عُمْرِيَ الْحَقِيقِيَّ».

سَأَلَهُ الذِّئْبُ الْمُتْعَبُ الْجَائِعُ:

«وَكَيْفَ سَتَعْرِفُ هَذَا؟».

فَقَالَ الْحِصَانُ:

«إِنَّ تَارِيخَ مِيلَادِي مَحْفُورٌ عَلَى حِدْوَةِ حَافِرِي، فِي سَاقِي الْخَلْفِيَّةِ، فَاذْهَبْ وَاقْرَأْهُ بَعْدَ أَنْ أَرْفَعَهُ أَمَامَ وَجْهِكَ، وَبَعْدَهَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْكُلَنِي بِالْهَنَاءِ والشِّفَاءِ».

أَذْعَنَ الذِّئْبُ الْغَبِيُّ لِهَذَا الْمَطْلَبِ، وَمَا إِنْ رَفَعَ الْحِصَانُ سَاقَهُ وَأَطَلَّ الذِّئْبُ مِنْ تَحْتِهَا، حَتَّى رَفَسَهُ الْحِصَانُ رَفْسَةً شَدِيدَةً أَطَاحَتْ بِهِ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا رَاحَ فِي غَيْبُوبَةٍ طَوِيلَةٍ.

وعِنْدَمَا أَفَاقَ الذِّئْبُ مِنْ غَيْبُوبَتِهِ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي قَفَصٍ مِنْ أَقْفَاصِ حَدِيقَةِ الْحَيَوَانَاتِ، حَيْثُ عَاشَ سَعِيدًا؛ لأَنَّهُ وَجَدَ عَمَلًا مُفِيدًا وَوَجَدَ طَعَامًا آمِنًا كُلَّ يَوْمٍ.

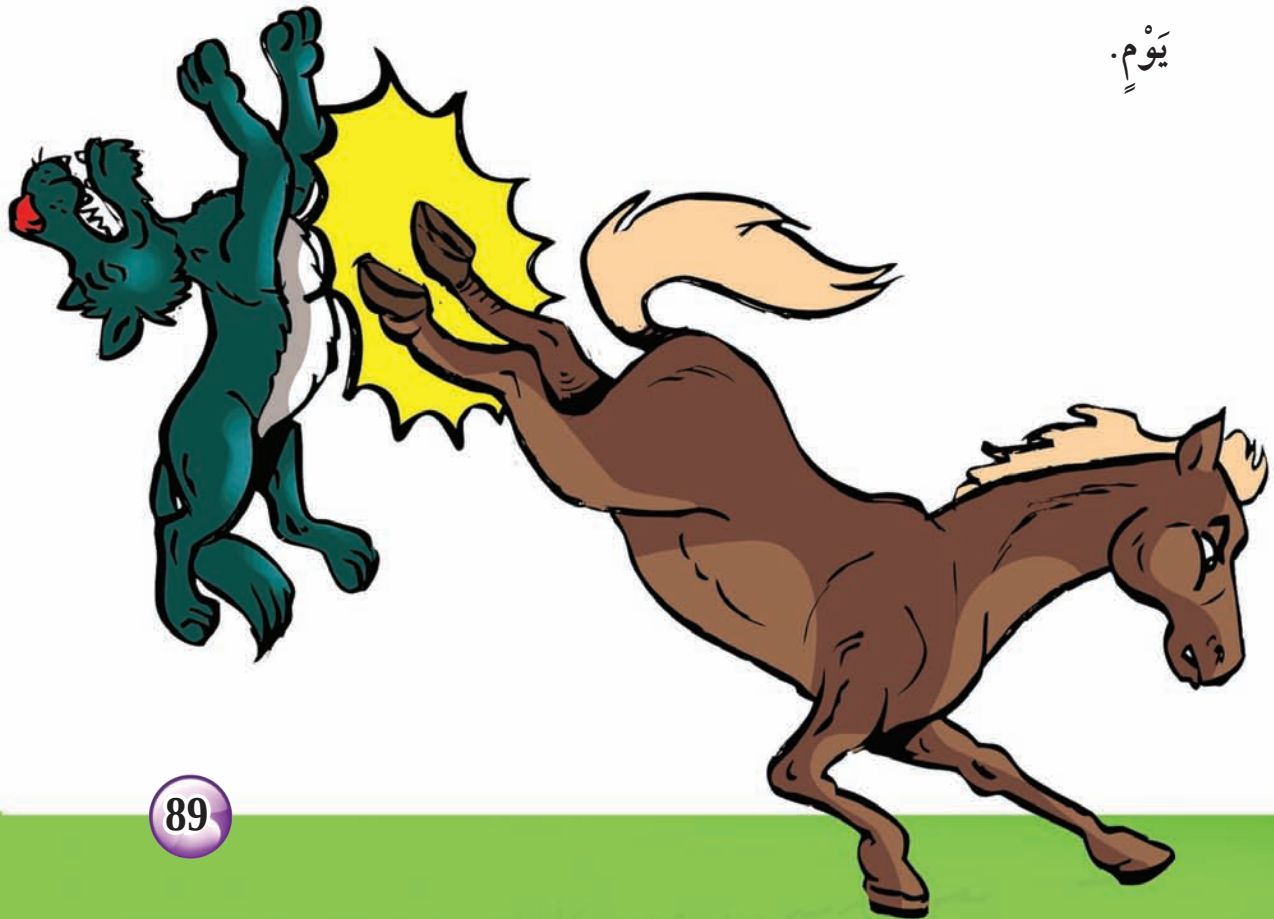

الطَّاوُوسُ الْمَغْرُورُ

فِي هَذِهِ الْمَزْرَعَةِ الْقَدِيمَةِ كَانَ يَعِيشُ فِي مَاضِي الزَّمَانِ مُزَارِعٌ لَدَيْهِ طَاوُوسٌ اسْمُهُ «طَاطُو» وَدَجَاجَةٌ اسْمُهَا «شَكْشَكٌ» وَكَلْبٌ اسْمُهُ «هَبْهَبٌ» وَقِطٌّ اسْمُهُ «نَوْنَوْ»، وَحَيَوانَاتٌ وَطُيُورٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ، سَواءٌ تِلكَ الَّتِي أَطْلَقُوا عَلَيْهَا أَسْمَاءً أَوْ لَمْ يُطْلِقُوا عَلَيْهَا أَيَّ أَسْمَاءٍ، وَكَانَتْ جَمِيعُهَا تَعِيشُ فِي سَلَامٍ وَرِضًا مَا عَدَا الطَّاوُوسَ الَّـذِي كَانَ يَقْضِي نَهَارَهُ مُعْجَبًا وَمُتَبَاهِيًـا بِذَيْلِهِ الطَّوِيلِ الْجَمِيلِ الْمُلَوَّنِ بِأَزْهَى وَأَجْمَلِ الْأَلْوَانِ، وَقَدْ كَرِهَ اسْـمَهُ الصَّغِيرَ «طَاطُو»، وَقَرَّرَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِاسْمٍ جَدِيدٍ يَلِيقُ بِهِ وَبِجَمَالِهِ وَبِعَظَمَتِهِ.

وَهَكَذَا قَالَ لِجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْمَزْرَعَةِ ذَاتَ صَبَاحٍ:

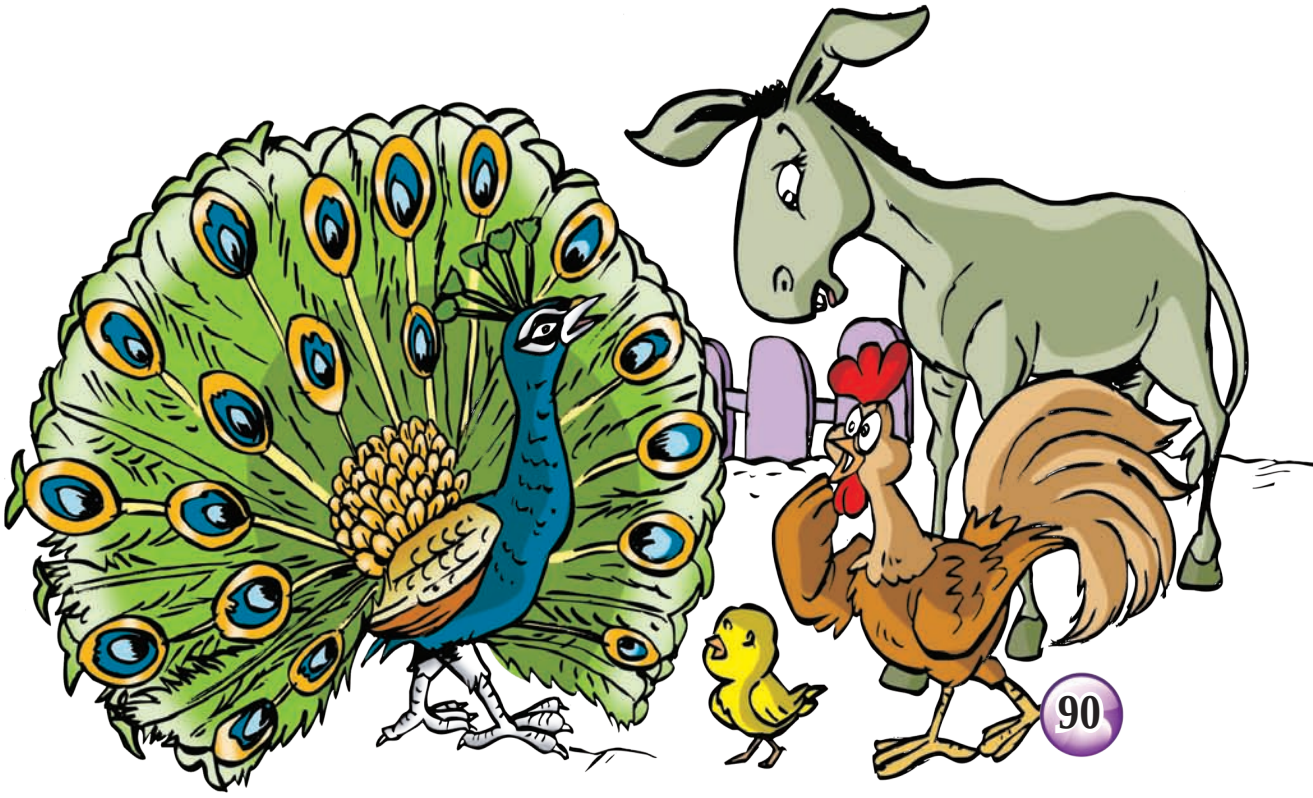

«مُنْذُ هَذَا الْيَوْمِ، لا أُرِيدُ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يُنَادِيَنِي بِاسْمِ «طَاطُو». مِنَ الْيَومِ اسْمِي هُوَ صَاحِبُ الذَّيْلِ الذَّهَبِيِّ مِثْلِ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ بَيْنَ السَّحَابِ وَفَوْقَ الْجِبَالِ عِنْدَ اسْتِوَاءِ صَبَاحِ فَصْلِ الصَّيْفِ!».

سَمِعَتِ الْحَيَوانَاتُ وَالطُّيُورُ هَذَا الْكَلَامَ، وَقَرَّرَتْ إِطَاعَةَ مَطْلَبِ الطَّاوُوسِ الْمَغْرُورِ؛ لِكَيْ تَتَجَنَّبَ شَرَّهُ وَأَذَاهُ. وَمَضَى الْيَوْمُ وَالْجَمِيعُ يُنَادُونَهُ بِاسْمِهِ الطَّوِيلِ الْجَدِيدِ، حَتَّى خَرَجَ الذِّئْبُ مِنْ بَيْنِ أَشْجَارِ الْغَابَةِ وَوَثَبَ عَلَى الطَّاوُوسِ يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ وَافْتِرَاسَهُ، فَأَسْرَعَ الطَّاوُوسُ يَنْتَفِضُ وَيَطْلُبُ النَّجْدَةَ، وَكَانَتِ الدَّجَاجَةُ غَيْرَ بَعِيدَةٍ مِنْهُ، فَأَسْرَعَتْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْقِطِّ، وَقَالَتْ لَهُ:

«أَسْرِعْ فَإِنَّ الذِّئْبَ يُحَاوِلُ اخْتِطَافَ صَاحِبِ الذَّيْلِ الذَّهَبِيِّ مِثْلِ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ بَيْنَ السَّحَابِ وفَوْقَ الْجِبَالِ عِنْدَ اسْتِوَاءِ صَبَاحِ فَصْلِ الصَّيْفِ».

لَمْ يَنْتَبِهِ الْقِطُّ أَوَّلَ الْأَمْرِ لِكُلِّ هَذَا الْكَلَامِ الْكَثِيرِ، وَمَضَتْ لَحَظَاتٌ حَتَّى تَذَكَّرَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْاسْمُ الْجَدِيدُ لِلطَّاوُوسِ الْمَغْرُورِ «طَاطُو».

فَأَسْرَعَ لِيُنَادِيَ الْكَلْبَ الَّذِي كَانَ نَائِمًا، وَأَيْقَظَهُ بِمُوَاءٍ عَالٍ، وَحِينَ اسْتَيْقَظَ أَبْلَغَهُ الْخَبَرَ نَفْسَهُ قَائِلًا:

«أَسْــرِعْ فَإِنَّ الذِّئْبَ يُحَاوِلُ اخْتِطَافَ صَاحِبِ الذَّيْلِ الذَّهَبِيِّ مِثْلِ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ بَيْنَ السَّحَابِ وفَوْقَ الْجِبَالِ عِنْدَ اسْتِوَاءِ صَبَاحِ فَصْلِ الصَّيْفِ».

فَهِــمَ الْكَلْبُ الْمَطْلُوبَ مِنْهُ بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيــلٍ، وَهَكَذَا ذَهَبَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى الْمُزَارِعِ الطَّيِّبِ صَاحِبِ الْمَزْرَعَةِ، وَكَانَ الْمُزَارِعُ ثَقِيلَ السَّــمْعِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ الْكَلْبِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ قَرِيبًا مِنْ أُذُنِهِ وَجَعَلَهُمَا مِثْلَ الْقُمْعِ وَقَالَ لِكَلْبِهِ الْحَبِيبِ «هَبْهَب»:

«أَرْجُــو أَنْ تَرْفَعَ صَوْتَكَ وَتُوَضِّحَ كَلَامَكَ وَتَقُــولَ لِي بِالضَّبْطِ: مَنِ الَّذِي يُحَاوِلُ الذِّئْبُ أَنْ يَخْتَطِفَهُ مِنْ بَيْنِ حَيَوَانَاتِ الْمَزْرَعَةِ؟».

فَكَرَّرَ الْكَلْبُ الْكَلَامَ فِي صَبْرٍ، مُبَلِّغًا الرِّسَالَةَ الطَّوِيلَةَ نَفْسَهَا:

«أَسْــرِعْ فَإِنَّ الذِّئْبَ يُحَاوِلُ اخْتِطَافَ صَاحِبِ الذَّيْلِ الذَّهَبِيِّ مِثْلِ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ بَيْنَ السَّحَابِ وفَوْقَ الْجِبَالِ عِنْدَ اسْتِوَاءِ صَبَاحِ فَصْلِ الصَّيْفِ».

فَقَالَ الْمُزَارِعُ وَهُوَ يُسْرِعُ نَحْوَ سَاحَةِ الْمَزْرَعَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ أَحْرَاشِ الْغَابَةِ:

«لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَحَدَّثُ عَنْ أُسْرَةٍ بِكَامِلِهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَلَيْسَ عَنْ طَاوُوسٍ وَاحِدٍ. أَلَمْ يَكُنِ اسْمُ هَذَا الطَّاوُوسِ هُوَ «طَاطُو» مُنْذُ أَنْ جَاءَ إِلَى الْمَزْرَعَةِ؟».

وَهَكَذَا جَرَى الْمُزَارِعُ وَمِنْ وَرَائِهِ الْكَلْبُ «هَبْهَبُ» وَالْقِطُّ «نَوْنَوُ» وَالدَّجَاجَةُ «شَكْشَكُ»، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِــدُوا أَيَّ أَثَــرٍ لِلطَّاوُوسِ الْمَغْرُورِ «طَاطُو» وَلَا لِلذِّئْبِ الَّذِي اخْتَطَفَهُ؛ حَيْثُ كَانَ قَدْ فَرَّ نَحْوَ أَحْرَاشِ الْغَابَةِ الْكَثِيفَةِ.

وَهُنَا قَالَ الْمُزَارِعُ:

«لَوْ أَنَّ هَذَا الطَّاوُوسَ كَانَ أَكْثَرَ تَوَاضُعًا وَاكْتَفَى بِاسْمِهِ الصَّغِيرِ الْجَمِيلِ، رُبَّمَا كُنَّا اسْتَطَعْنَا إِنْقَاذَهُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ».

الْقِرْدُ «جُولُو» وَزَعِيمُ التَّمَاسِيحِ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ هُنَاكَ قِرْدٌ ذَكِيٌّ وَنَشِيطٌ اسْمُهُ «جُولُو». وَذَاتَ يَوْمٍ رَاحَ هَذَا الْقِرْدُ كَعَادَتِهِ يَتَقَافَزُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ هُنَا وَهُنَاكَ، بَاحِثًا عَنْ ثِمَارِ جَوْزِ الْهِنْدِ وَعَنِ الْفُولِ السُّودَانِيِّ وَالْبُنْدُقِ وَاللَّوْزِ، حَتَّى سَقَطَ فَجْأَةً فِي مِيَاهِ النَّهْرِ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ زَوْرَقَ صَيْدٍ صَغِيرًا فَتَعَلَّقَ بِهِ، دُونَ أَنْ يَنْتَبِهَ لَهُ الصَّيَّادُ الَّذِي رَاحَ يُجَدِّفُ نَحْوَ جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي عُرْضِ النَّهْرِ الْوَاسِعِ.

كَانَتِ الْجَزِيرَةُ صَغِيرَةً لِلْغَايَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْهَا إِلَّا شَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ بِهَا ثِمَارٌ قَلِيلَةٌ مِنْ جَوْزِ الْهِنْدِ. تَسَلَّقَ الْقِرْدُ «جُولُو» بِسُرْعَةٍ شَجَرَةَ جَوْزِ الْهِنْدِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْمَعْزُولَةِ، وَهُنَاكَ أَخَذَهُ النَّوْمُ. وَلَمَّا اسْتَفَاقَ نَظَرَ حَوْلَهُ فَلَمْ يَرَ أَثَرًا لِلصَّيَّادِ وَلَا لِقَارِبِهِ الصَّغِيرِ، وَهَكَذَا أَصْبَحَ «جُولُو» سَجِينَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الصَّغِيرَةِ وَحْدَهُ، وَفِي الصَّبَاحِ وَجَدَ أَنَّ مُشْكِلَتَهُ تَعَقَّدَتْ تَمَامًا عِنْدَمَا رَأَى تَحْتَهُ تِمْسَاحًا كَبِيرًا

يَتَشَمَّسُ وَهُوَ ثَابِتٌ فِي مَكَانِهِ تَمَامًا، وَلَمَّا أَحَسَّ التِّمْسَاحُ بِحَرَكَةٍ فَوْقَ الشَّجَرَةِ رَفَعَ بَصَرَهُ فَرَأَى «جُولُو»، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ لَهُ:

«مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هُنَا أَيُّهَا الْقِرْدُ الشَّقِيُّ؟ كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى أَنْ تَطَأَ قَدَمُكَ جَزِيرَةَ التَّمَاسِيحِ؟ سَوْفَ نَأْكُلُكَ أَنَا وَأَبْنَائِي وَأَحْفَادِي مِنَ التَّمَاسِيحِ!!».

حَاوَلَ الْقِرْدُ «جُولُو» أَنْ يُخْفِيَ خَوْفَــهُ، وَأَنْ يَتَصَنَّعَ الْمَرَحَ واللَّهْوَ؛ حَتَّى لَا يَظُنَّ التِّمْسَاحُ أَنَّهُ فَرِيسَةٌ سَهْلَةُ الْمَنَالِ، وَقَالَ لِلتِّمْسَاحِ:

«أَنَا لَا أَخَافُــكَ، وَلَا أَخَافُ أَبْنَاءَكَ وَأَحْفَادَكَ أَيُّهَا التِّمْسَاحُ الْعَجُوزُ.

لَقَــدْ جِئْــتُ إِلَى هَــذِهِ الْجَزِيرَةِ الْبَعِيدَةِ؛ لأَسْــتَرِيحَ وَأَسْتَجِمَّ، وَاعْلَمْ جَيِّدًا أَنَّ أَهْلِي هُمْ مُلُــوكُ الْقُرُودِ، وَإِذَا عَرَفُوا أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ أَصَابَنِي بِشَرٍّ فَلَنْ يَهْدَأَ لَهُمْ بَالٌ حَتَّى يَنْتَقِمُوا مِنْهُ شَرَّ انْتِقَامٍ».

أَخْبَرَ التِّمْسَاحُ الْكَبِيرُ الْقِرْدَ أَنَّهُ سَوْفَ يَنْتَظِرُهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ مَهْمَا طَالَ الْوَقْتُ، وَأَنَّهُ سَيَفْتَرِسُهُ مَا إِنْ يَلْمَسْ أَرْضَ الْجَزِيرَةِ. وَرَأَى الْقِرْدُ أَنَّهُ لَا مَهْرَبَ أَمَامَهُ إِلَّا الْحِيلَةُ، فَرَاحَ يُثِيرُ نِقْمَةَ التِّمْسَاحِ وَغَيْظَهُ، وَيَتَبَاهَى بِعَائِلَتِهِ وَأَهْلِهِ، وَعَدَدِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَإِذَا بِالتِّمْسَاحِ هُوَ الْآخَرُ يَتَبَاهَى بِالْعَدَدِ الْكَبِيرِ مِنَ التَّمَاسِيحِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي هَذَا النَّهْرِ وَيَأْتُونَ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ لِيَتَشَمَّسُوا وَيَسْتَرِيحُوا، فَرَاحَ الْقِرْدُ يَسْخَرُ مِنْهُ وَيُكَذِّبُ كَلَامَهُ، وَيَقُولُ لَهُ:

«لَنْ أَسْتَسْلِمَ لَكَ أَوْ أُصَدِّقَكَ حَتَّى أَرَى بِعَيْنَيَّ كُلَّ تِلْكَ التَّمَاسِيحِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْهَا بِأَعْدَادِهَا الْهَائِلَةِ».

رَاحَ التِّمْسَاحُ الْكَبِيرُ يَدْعُو أَبْنَاءَهُ وَأَحْفَادَهُ مِنَ التَّمَاسِيحِ الْقَوِيَّةِ الشَّابَّةِ، فَجَاءَتْ عَلَى نِدَائِهِ عَشَرَاتُ التَّمَاسِيحِ وَالْتَفَّتْ حَوْلَ الْجَزِيرَةِ الصَّغِيرَةِ. لَكِنَّ الْقِرْدَ لَمْ يَسْتَسْلِمْ، وَرَاحَ يَدَّعِي أَنَّ عَدَدَهَا صَغِيرٌ لِلْغَايَةِ، بِالنِّسْبَةِ لِأَعْدَادِ أَهْلِهِ مِنَ الْقُرُودِ، فَرَاحَ التِّمْسَاحُ الْعَجُوزُ يُنَادِي مَنْ تَبَقَّى مِنَ التَّمَاسِيحِ، حَتَّى صَارَتْ بِالْمِئَاتِ حَوْلَ الْجَزِيرَةِ، وَهُنَا طَلَبَ مِنْهُ الْقِرْدُ أَنْ يَعُدَّهُمْ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ كَلَامِهِ، وَيُقِرَّ بِتَفَوُّقِهِمْ عَلَى عَدَدِ عَائِلَتِهِ وَقَبِيلَتِهِ مِنَ الْقِرَدَةِ، وَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى التَّمَاسِيحِ أَنْ تَصْطَفَّ صَفًّا وَاحِدًا مِنْ شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ بِعُرْضِ النَّهْرِ، وَحَتَّى الشَّاطِئِ الْآخَرِ الْبَعِيدِ؛ لِكَيْ يَنْزِلَ الْقِرْدُ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ وَيَقْفِزَ عَلَى ظُهُورِهَا وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ، وَيَتَأَكَّدَ مِنَ الْعَدَدِ.

وَهَكَذَا نَزَلَ الْقِرْدُ أَخِيرًا عَنِ الشَّجَرَةِ، وَرَاحَ يَنْتَقِلُ مِنْ ظَهْرِ تِمْسَاحٍ إِلَى

آخَرَ، وَهَكَذَا كَانَ يَقْتَرِبُ مِنَ الشَاطِئِ الْآخَرِ حَيْثُ تَعِيشُ قَبِيلَةُ الْقُرُودِ.

وَهُنَا انْتَبَهَ التِّمْسَـاحُ الْعَجُوزُ لِحِيلَتِهِ، فَأَمَرَ التَّمَاسِيحَ الْقَرِيبَةَ مِنَ الْقِرْدِ أَنْ تَجْذِبَهُ مِنْ ذَيْلِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا مِنْهُ إِلَّا الذَّيْلَ حَيْثُ جَذَبَهُ مِنْ فَوْقِ الشَّاطِئِ إِخْوَتُهُ مِنَ الْقُرُودِ وأَنْقَذُوهُ مِنْ بَيْنِ أَنْيَابِ التَّمَاسِيحِ، وَهَكَذَا صَارَتْ كُلُّ الْقُرُودِ فِي هَذِهِ الْغَابَةِ قَصِيرَةَ الذُّيُولِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَتَبَاهَى بِانْتِصَارِهَا عَلَى التَّمَاسِيحِ كَبِيرَةِ الْحَجْمِ وَصَغِيرَةِ الْعُقُولِ.

رَبِيعٌ يَا نَدَى وَأَلْحَانُ الْكَمَانِ

فِي بَيْــتٍ فَقِيرٍ مِنْ بُيُوتِ الْقِطَــطِ، كَانَتِ الْأُمُّ الْقِطَّةُ تَسْــعَى لِرِزْقِهَا طَوَالَ النَّهَارِ؛ لِتُؤَمِّنَ الطَّعَامَ لِقِطَطِهَا الثَّلَاثِ الصِّغَارِ.. فَكَانَتْ تَجُوعُ لِيَأْكُلُوا، وَتَنَامُ عَلَى الْأَرْضِ الْخَشِنَةِ فِي لَيَالِي الْبَرْدِ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَغْرَقُ فِي النُّعَاسِ اللَّذِيذِ فِي سَلَّةٍ صَغِيرَةٍ دَافِئَةٍ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ عَلَى هَذَا الْحَالِ، حَتَّى تَعِبَتِ الْقِطَّةُ الْأُمُّ فِي اللَّيْلِ أَشَدَّ التَّعَبِ، وَرَأَتْ أَنَّــهُ يَجِبُ عَلَى أَوْلَادِهَا الثَّلَاثَةِ أَنْ يَحْمِلُوا الْعِبْءَ عَنْهَا، وَكَانَ أَكْبَرُهُمْ اسْمُهُ «مِسْكُ اللَّيْلِ»، وَلَوْنُهُ أَسْوَدُ مِثْلُ الْمِسْكِ، وَجَمِيلٌ مِثْلُ قِطْعَةٍ مِنْ قُمَاشِ الْقَطِيفَةِ السَّوْدَاءِ، وَقَدِ اشْتَدَّ عُودُهُ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ الْأُمُّ أَنْ يَخْرُجَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ.

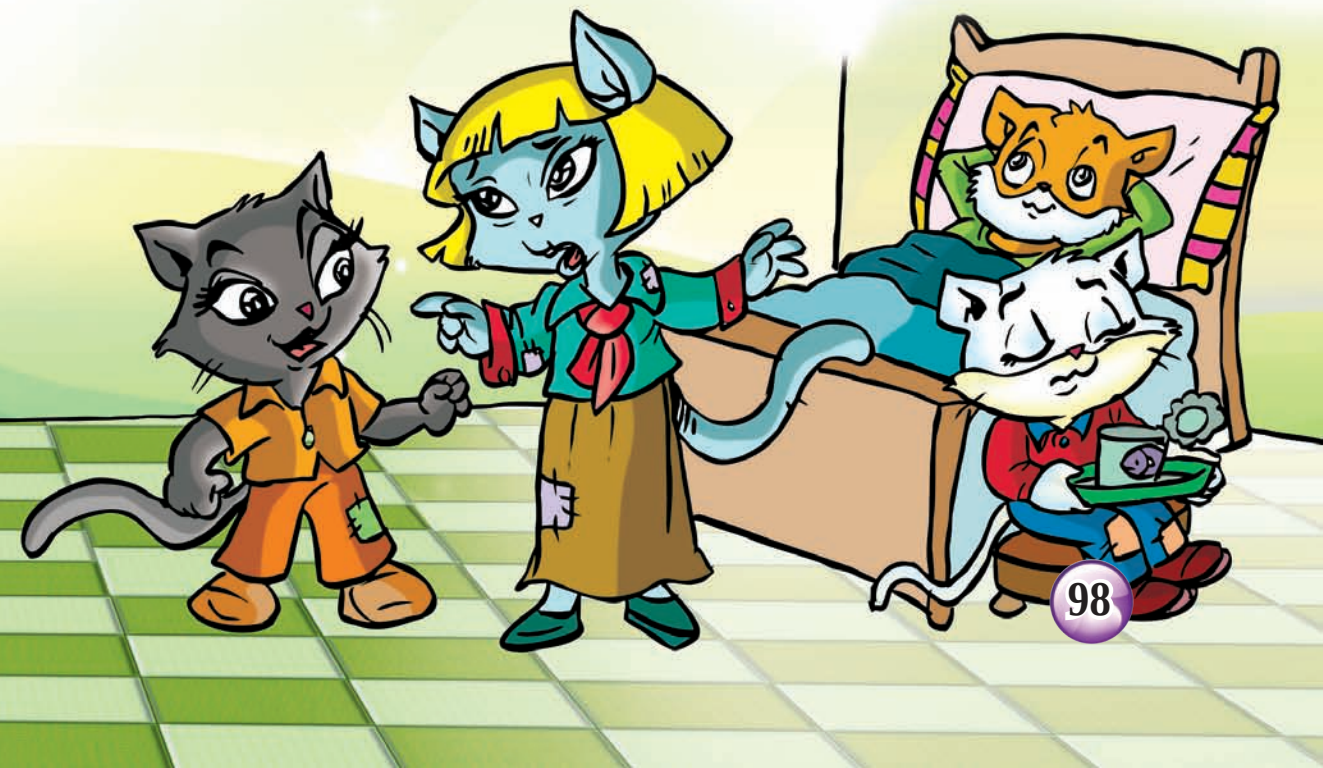

وَهَكَذَا خَرَجَ «مِسْكُ اللَّيْلِ» إِلَى الْعَالَمِ الْوَاسِعِ، وَأَخَذَ يَسِيرُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ حَتَّى عَثَرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَرْتَدِي أَفْخَرَ الثِّيَابِ وَأَعْجَبَهُ مَنْظَرُهُ اللَّطِيفُ وَشَعْرُهُ الْأَسْوَدُ النَّاعِمُ الْكَثِيفُ، فَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى قَصْرِهِ الْكَبِيرِ، وَعَاشَ هُنَاكَ مُنَعَّمًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَلْعَبُ، وَهَكَذَا نَسِيَ الْقِطُّ الْأَكْبَرُ «مِسْكُ اللَّيْلِ» أُمَّهُ وَأَخَوَيْهِ تَمَامًا؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ الرَّخَاءَ الَّذِي كَانَ يَحْلُمُ بِهِ.

وَعِنْدَمَا مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَلَمْ يَعُدِ الْقِطُّ الْأَكْبَرُ «مِسْكُ اللَّيْلِ»، وَاشْتَدَّتْ قَسْوَةُ الْحَيَاةِ عَلَى الْقِطَّةِ الْأُمِّ، طَلَبَتْ مِنِ ابْنِهَا الثَّانِي أَنْ يَخْرُجَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ، وَكَانَ اسْمُهُ «مِشْمِش فَجِّ النُّورِ»، وَكَانَ لَوْنُهُ بُرْتُقَالِيًّا وَكَأَنَّهُ شَمْسٌ صَغِيرَةٌ نَاعِمَةٌ، وَقَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْطَتْهُ أُمُّهُ عَبَاءَةً صَغِيرَةً مِنَ الْحَرِيرِ، كَانَ وَالِدُهُ يَرْتَدِيهَا.

وَهَكَذَا خَرَجَ «مِشْمِشُ فَجِّ النُّورِ» إِلَى الْعَالَمِ الْوَاسِعِ، وَأَخَذَ يَسِيرُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ جَائِعًا ضَائِعًا، حَتَّى عَثَرَتْ عَلَيْهِ سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ وَمَعَهَا حَفِيدُهَا الصَّغِيرُ، فَأَخَذَتْهُ مَعَهَا إِلَى بَيْتِهَا الرِّيفِيِّ الْكَبِيرِ؛ لِكَيْ يُسَلِّيَ حَفِيدَهَا وَيَلْعَبَ مَعَهُ. وَهَكَذَا نَسِيَ الْقِطُّ الثَّانِي «مِشْمِشُ فَجِّ النُّورِ» أُمَّهُ وَأَخَاهُ الصَّغِيرَ؛ لأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّعِبَ وَالْجَرْيَ وَالْقَفْزَ هُنَا وَهُنَاكَ، فَلَمَّا وَجَدَ مَا كَانَ يَبْحَثُ عَنْهُ نَسِيَ أَهْلَهُ تَمَامًا.

وَعِنْدَمَا مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَلَمْ يَعُدْ ثَانِي الْقِطَطِ، وَكَانَتِ الْأُمُّ قَدْ أَجْهَدَتْهَا الْحَيَاةُ إِلَى أَبْعَدِ حَدٍّ، فَطَلَبَتْ مِنْ قِطِّهَا الصَّغِيرِ أَنْ يَخْرُجَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ. وَكَانَ الْقِطُّ الثَّالِثُ اسْمُهُ «رَبِيعٌ يَا نَدَى»، وَلَوْنُهُ أَبْيَضُ مِثْلُ السَّحَابِ أَوِ الْقُطْنِ. وَعِنْدَمَا أَرَادَتِ الْأُمُّ أَنْ تُعْطِيَهُ شَيْئًا مِنْ مُقْتَنَيَاتِ وَالِدِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ، طَلَبَ مِنْهَا أَنْ يَأْخُذَ الْكَمَانَ الَّذِي كَانَ أَبُوهُ يَعْزِفُ عَلَيْهِ.

وَهَكَذَا خَرَجَ «رَبِيعٌ يَا نَدَى» إِلَى الْعَالَمِ الْوَاسِعِ، وَأَخَذَ يَعْزِفُ عَلَى الْكَمَانِ، وَالْتَفَّ النَّاسُ حَوْلَهُ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ، وَقَدِ انْدَهَشُوا جَمِيعًا عِنْدَمَا وَجَدُوا قِطًّا أَبْيَضَ مِثْلَ لَوْزَةِ الْقُطْنِ، يَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَانًا صَغِيرًا وَيَسْتَخْرِجُ مِنْهُ أَجْمَلَ الْأَلْحَانِ.

فِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ «رَبِيعٌ يَا نَدَى» يَعُودُ إِلَى أُمِّهِ بِالطَّعَامِ وَالثِّيَابِ وَالْهَدَايَا، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ يَزْدَادُ شُهْرَةً فِي الْبِلَادِ، وَيَطْلُبُهُ النَّاسُ فِي الْحَفَلَاتِ وَالْأَعْرَاسِ وَالْمُنَاسَبَاتِ الْكَبِيرَةِ.

وَهَذَا هُوَ جَزَاءُ الْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ.

التَّاجِرُ الْبَخِيلُ وَنُكْرَانُ الْجَمِيلِ

كَانَ فِي بِلَادٍ بَعِيدَةٍ تَاجِرٌ بَخِيلٌ، لَا يُحِبُّ النَّاسَ وَلَا يُحِبُّهُ النَّاسُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِلَى جَانِبِ بُخْلِهِ مَغْرُورًا وَمُتَكَبِّرًا. وَذَاتَ لَيْلَةٍ، وَبَيْنَمَا كَانَ عائِدًا مِنْ وَلِيمَةٍ دَعَاهُ إِلَيْهَا أَحَدُ أَقْرِبَائِهِ الْأَغْنِيَاءِ، دَخَلَ بِحِصَانِهِ فِي غَابَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَسَقَطَ فَجْأَةً مِنْ عَلَى ظَهْرِ الْحِصَانِ. وَعِنْدَمَا حَاوَلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ عَثْرَتِهِ اكْتَشَفَ أَنَّهُ لَمْ يَسْقُطْ عَلَى الْأَرْضِ وَإِنَّمَا تَحْتَ الْأَرْضِ، فَقَدْ أَحَسَّ أَنَّهُ سَقَطَ فِي فَخٍّ مِمَّا يَنْصِبُهُ الصَّيَّادُونَ لِيَصِيدُوا بِهِ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ الْمُخْتَلِفَةَ، وَفِي ظُلْمَةِ هَذَا الْفَخِّ رَاحَ يَسْمَعُ مِنْ حَوْلِهِ أَصْوَاتًا غَرِيبَةً؛ فَقَدْ سَمِعَ فَحِيحًا يُشْبِهُ فَحِيحَ الثُّعْبَانِ،

وَهَكَذَا جَمَّدَهُ الرُّعْبُ فِي مَكَانِهِ، وَرَاحَ يَسْتَعِدُّ لِلْمَوْتِ وَهُوَ يَتَذَكَّرُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ السَّيِّئَةِ الَّتِي اقْتَرَفَهَا فِي حَيَاتِهِ، وَنَوَى أَنْ يَتُوبَ عَنْهَا جَمِيعًا إِذَا مَا نَجَّاهُ اللهُ مِنْ مِحْنَتِهِ هَذِهِ.

وَبَعْدَ سَاعَاتٍ مِنْ هَذَا الرُّعْبِ الْقَاتِلِ، سَمِعَ التَّاجِرُ صَوْتَ حَطَّابٍ يُغَنِّي، فَرَاحَ يُنَادِيهِ وَيَسْتَغِيثُ بِهِ، فَانْتَبَهَ الْحَطَّابُ لِلصَّوْتِ، وَتَتَبَّعَهُ حَتَّى وَجَدَ أَنَّهُ يَنْبَعِثُ مِنْ حُفْرَةٍ عَلَيْهَا أَكْوَامٌ مِنَ الْأَغْصَانِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ لِلتَّمْوِيهِ.

تَحَرَّكَ الْحَطَّابُ الطَّيِّبُ بِسُرْعَةٍ وَأَحْضَرَ غُصْنًا قَوِيًّا مِنْ شَجَرَةٍ جَافَّةٍ وَمَدَّهُ إِلَى دَاخِلِ الْحُفْرَةِ، وَقَالَ لِمَنْ بِدَاخِلِهَا:

«تَعَلَّقْ بِهَذَا الْغُصْنِ وَاخْرُجْ».

وَلَكِنَّهُ فُوجِئَ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِالْغُصْنِ وَخَرَجَ ثُعْبَانٌ صَغِيرٌ كَانَ قَدْ سَقَطَ فِي الْفَخِّ. وَعِنْدَمَا رَآه الْحَطَّابُ أَلْقَى بِالْغُصْنِ عَلَى الْفَوْرِ، فَوَلَّى الثُّعْبَانُ الصَّغِيرُ الْأَدْبَارَ زَاحِفًا مُبْتَعِدًا وَهَارِبًا، بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ الشُّكْرَ بِسُرْعَةٍ لِلْحَطَّابِ.

هَمَّ الْحَطَّابُ أَنْ يَعُودَ مِنْ حَيْثُ أَتَى خَائِفًا مَذْعُورًا، لَكِنَّهُ سَمِعَ مِنْ جَدِيدٍ صَوْتَ التَّاجِرِ يَسْتَغِيثُ بِهِ وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَمُدَّ لَهُ الْغُصْنَ الْجَافَّ مَرَّةً أُخْرَى. فَمَدَّ الْحَطَّابُ الْغُصْنَ مِنْ جَدِيدٍ، وَتَعَلَّقَ التَّاجِرُ الْبَخِيلُ بِالْغُصْنِ، وَاسْتَطَاعَ الْحَطَّابُ أَنْ يَرْفَعَهُ بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ؛ لأَنَّ الْفَخَّ كَانَ عَمِيقًا وَضَيِّقًا، وَمَا إِنْ طَلَعَ التَّاجِرُ إِلَى سَطْحِ الْأَرْضِ وَرَأَى ضَوْءَ النَّهَارِ حَتَّى أَعْطَى ظَهْرَهُ لِلْحَطَّابِ دُونَ كَلِمَةِ شُكْرٍ وَاحِدَةٍ، وَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ حِصَانِهِ لِيَعُودَ بِهِ إِلَى دَارِهِ!!

فِي ظَهِيرَةِ هَذَا الْيَوْمِ نَفْسِهِ، وَعِنْدَمَا رَجَعَ الْحَطَّابُ إِلَى دَارِهِ وَجَدَ زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ فِي غَايَةِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَعِنْدَمَا سَأَلَهُمْ عَنِ السَّبَبِ، قَالَتِ الْمَرْأَةُ إِنَّ ثُعْبَانًا جَاءَ فِي الصَّبَاحِ وَبَيْنَ أَسْنَانِهِ جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ، وَقَالَ إِنَّهَا هَدِيَّةٌ مُتَوَاضِعَةٌ مِنْ وَالِدَيْهِ وَأَهْلِهِ الثَّعَابِينِ حُرَّاسِ الْكَنْزِ الْكَبِيرِ فِي الْغَابَةِ، رَدًّا لِلْجَمِيلِ الَّذِي صَنَعَهُ الْحَطَّابُ الْفَقِيرُ بِإِنْقَاذِهِ الثُّعْبَانَ مِنَ الْفَخِّ.

وَفِي الْيَوْمِ نَفْسِـهِ أَخَذَ الْحَطَّابُ الْفَقِيرُ الْجَوْهَرَةَ الثَّمِينَةَ لِيَبِيعَهَا فِي السُّوقِ، وَلَكِنَّ التُّجَّارَ فِي السُّوقِ لَمْ يُصَدِّقُوا أَنْ يَحْصُلَ حَطَّابٌ فَقِيرٌ عَلَى هَذِهِ الْجَوْهَرَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَثِيلٌ، فَاتَّهَمُوهُ بِسَـرِقَتِها واقْتَـادُوهُ إِلَى قَاضِي الْمَدِينَةِ، وَهُنَاكَ اسْتَشْـهَدَ بِالتَّاجِرِ الْبَخِيلِ الَّـذِي يَعْرِفُهُ جَمِيعُ أَهْـلِ الْمَدِينَةِ، فَذَهَبَ بَعْضُ الْجُنُودِ وَأَحْضَرُوا التَّاجِرَ، الَّذِي رَفَضَ أَنْ يَعْتَرِفَ أَمَامَ النَّاسِ بِأَنَّهُ سَـقَطَ فِي فَخٍّ مِنْ فِخَاخِ الْحَيَوانَاتِ بِالْغَابَةِ؛ لأَنَّـهُ كَانَ مَغْرُورًا وَمُتَكَبِّرًا، وَأَنْكَرَ الْقِصَّةَ بِكَامِلِهَا، وَقَالَ إِنَّ الْحَطَّابَ كَلَامُهُ كَذِبٌ فِي كَذِبٍ، وَهَكَذَا سَجَنُوا الْحَطَّابَ الْمِسْكِينَ؛ جَزَاءً لَهُ عَلَى إِنْقَاذِ التَّاجِرِ نَاكِرِ الْجَمِيلِ، لَكِنَّ الْحِكَايَةَ لَمْ تَنْتَهِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ.

ظَهَرَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَالْحَطَّابُ الْمِسْكِينُ سَجِينٌ يُكَرِّرُ كَلَامَهُ الصَّادِقَ بِأَنَّ ثُعْبَانًا مِنْ حُرَّاسِ كَنْــزِ الْغَابَةِ هُوَ مَنْ أَهْدَاهُ الْجَوْهَرَةَ؛ مُكَافَأَةً عَلَى إِنْقَاذِهِ مِنْ فَخٍّ مِنْ فِخَاخِ الصَّيْدِ، وَأَنَّ التَّاجِرَ الْبَخِيلَ كَانَ فِي الْفَخِّ وَشَــهِدَ كُلَّ شَيْءٍ. لَكِنَّ أَحَدًا لَمْ يُصَدِّقْهُ. وَانْتَشَــرَ خَبَرُ الْحَطَّابِ الْمِسْكِينِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبَلْدَةِ، حَتَّى إِنَّ الْحَيَوانَاتِ أَخَذَتْ تَتَنَاقَلُهُ فِيمَا بَيْنَهَا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَسَــامِعِ عَائِلَةِ الثَّعَابِينِ الَّتِي أَهْدَتْهُ الْيَاقُوتَةَ الَّتِي سُــجِنَ بِسَبَبِهَا. فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ، وَاتَّفَقُوا عَلَى إِنْقَاذِهِ بِأَيِّ شَكْلٍ، وَتَوَصَّلُوا إِلَى خُطَّةٍ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

وذَاتَ لَيْلَةٍ كَانَ التَّاجِرُ الْبَخِيلُ عَائِدًا عَلَى ظَهْرِ حِصَانِهِ مِنْ وَلِيمَةٍ أُخْرَى مِنَ الْوَلائِمِ الَّتِي يَدْعُوهُ إِلَيْهَا أَقَارِبُهُ الْأَثْرِيَاءُ. وَفِي الْغَابَةِ قَطَعَتِ الطَّرِيقَ عَلَيْهِ عَائِلَةُ الثَّعَابِينِ، وَعِنْدَمَا حَاوَلَ أَنْ يُفْلِتَ مِنْهَا، أُصِيبَ حِصَانُهُ بِالذُّعْرِ الشَّدِيدِ وَرَمَاهُ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهِ، وَهَكَذَا سَقَطَ فِي الْفَخِّ مَرَّةً أُخْرَى، وَرَاحَ يَتَذَكَّرُ كُلَّ الْأَفْعَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا، وَتَذَكَّرَ مِنْ جَدِيدٍ نِيَّتَهُ بِالتَّوْبَةِ وَتَرَاجُعَهُ عَنْ هَذِهِ النِّيَّةِ مَا إِنْ خَرَجَ مِنَ الْحُفْرَةِ، وَتَذَكَّرَ مَا فَعَلَهُ بِالْحَطَّابِ الْمِسْكِينِ نَتِيجَةً لِغُرُورِهِ وَكِبْرِيَائِهِ.

فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ الْقَاضِي يَسْمَعُ أَصْوَاتًا غَرِيبَةً فِي غُرْفَةِ نَوْمِهِ، وَعِنْدَمَا صَحَا وَجَدَ ثُعْبَانًا صَغِيرًا وفِي فَمِهِ جَوْهَرَةٌ لَامِعَةٌ لَمْ يَسْبِقْ لِلْقَاضِي أَنْ رَأَى مَثِيلًا لَهَا فِي حَيَاتِهِ أَبَدًا، ثُمَّ أَلْقَى الثُّعْبَانُ السَّلَامَ عَلَى الْقَاضِي، وَحَكَى لَهُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْحَطَّابِ الطَّيِّبِ وَالتَّاجِرِ الْبَخِيلِ نَاكِرِ الْجَمِيلِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ إِلَى مَوْضِعِ الْفَخِّ فِي الْغَابَةِ حَيْثُ سَيَجِدُ هُنَاكَ التَّاجِرَ فِي الْمَوْقِفِ نَفْسِهِ.

قَامَ الْقَاضِي عَلَى الْفَوْرِ، وَارْتَدَى ثِيَابَهُ، وَامْتَطَى حِصَانَهُ، وَدَعَا جُنُودَهُ وَحَاشِيَتَهُ وَرِجَالَهُ لِيُشَاهِدُوا هَذَا الْعَجَبَ الْعُجَابَ، فَأَشْعَلُوا الْمَشَاعِلَ وَتَبِعُوا هَذَا الثُّعْبَانَ الْغَرِيبَ، وَلَمْ يَنْسَوْا أَنْ يَأْخُذُوا مَعَهُمُ الْحَطَّابَ بَعْدَ أَنْ فَكُّوا قُيُودَهُ مِنْ سِجْنِهِ. وَعِنْدَ مَوْضِعِ الْفَخِّ فِي الْغَابَةِ، الْتَزَمَ الْجَمِيعُ الصَّمْتَ، بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ الْقَاضِي، وَأَخَذَ الْحَطَّابُ يُغَنِّي كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ.

وَمَا إِنْ سَـــمِعَ التَّاجِرُ فِي مَكَانِهِ مِنَ الْحُفْرَةِ الْعَمِيقَةِ صَوْتَ الْحَطَّابِ يُغَنِّي، حَتَّى شَبَّ الْأَمَلُ فِي صَدْرِهِ مِنْ جَدِيدٍ، وَرَاحَ يُنَادِي عَلَيْهِ وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يُنْقِذَهُ وَيُغِيثَهُ مِنْ هَذَا الْفَخِّ الَّذِي سَقَطَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى، لَكِنَّ الْحَطَّابَ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ عَلَى الْفَوْرِ، بَلْ سَأَلَهُ أَوَّلًا:

«كَيْفَ أُنْقِذُكَ يَا حَضْرَةَ التَّاجِرِ الْعَظِيمِ؟».

فَأَجَابَ التَّاجِرُ مَلْهُوفًا:

«مِثْلَمَا قُمْتَ بِإِنْقَاذِي فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، هَلْ نَسِيتَ؟».

وَهُنَا سَأَلَهُ الْحَطَّابُ:

«وَكَيْفَ أَنْقَذْتُكَ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ؟».

فَأَجَابَهُ التَّاجِرُ عَلَى الْفَوْرِ صَارِخًا مِنْ عُمْقِ الْحُفْرَةِ:

«مُدَّ لِي غُصْنًا قَوِيًّا أَتَعَلَّقُ بِهِ، كَمَا تَعَلَّقْتُ بِهِ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، بَعْدَ أَنْ خَرَجَ الثُّعْبَانُ، هَلْ نَسِيتَ؟».

وَهُنَا سَأَلَهُ الْحَطَّابُ:

«إِذَا كُنْتَ تَذْكُرُ هَذَا كُلَّهُ، فَلِمَ كَذَبْتَ أَمَامَ الْقَاضِي وَادَّعَيْتَ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَمْ يَحْدُثْ، وَأَنَّنِي أَكْذِبُ لِأَبِيعَ جَوْهَرَةً مَسْرُوقَةً؟».

اعْتَرَفَ التَّاجِرُ بَاكِيًا:

«لَقَدْ مَنَعَنِيَ الْغُرُورُ وَالْكِبْرِيَاءُ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَى الْمَلَإِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ النَّاسِ، أَنَّنِي قَدْ سَقَطْتُ فِي فَخٍّ بِالْغَابَةِ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ، كَمَا أَنَّنِي خِفْتُ مِنْ أَنْ تُطَالِبَنِي

بِمُقَابِلٍ فَأُضْطَرَّ لِدَفْعِهِ أَمَامَ الْقَاضِي».

وهُنَا أَمَــرَ الْقَاضِي بِإِنْقَاذِ التَّاجِــرِ الْبَخِيلِ، بَعْدَ أَنِ اعْتَــرَفَ أَمَامَ الْجَمِيعِ بِالْحَقِيقَةِ كَامِلَةً، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَهَبَ نِصْفَ مَالِهِ لِلْحَطَّابِ الْمِسْــكِينِ، كَمَا أَمَرَ بِسَجْنِ التَّاجِرِ ثَلاثَةَ شُهُورٍ؛ عِقَابًا لَهُ عَلَى شَهَادَةِ الزُّورِ وَالْكَذِبِ أَمَامَ الْمَحْكَمَةِ.

النَّسَّاجُ اللَّبِيبُ

بَعِيدًا، فِي بِلَادِ الشَّرْقِ الْأَقْصَى، كَانَ أَحَدُ الْمُلُوكِ جَالِسًا عَلَى عَرْشِهِ عِنْدَمَا دَخَلَ عَلَيْهِ مَبْعُوثُ أَحَدِ الْمَمَالِكِ الْبَعِيدَةِ، وَكَانَ الرَّجُلُ غَرِيبَ الْهَيْئَةِ وَلَمْ يَتَحَدَّثْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، لَكِنَّهُ أَخْرَجَ أُصْبُعًا مِنَ الطَّبَاشِيرِ وَرَسَمَ بِهِ دَائِرَةً كَامِلَةً حَوْلَ عَرْشِ الْمَلِكِ، ثُمَّ ابْتَعَدَ فِي صَمْتٍ وَوَقَفَ أَمَامَ الْمَلِكِ عَاقِدًا ذِرَاعَيْهِ أَمَامَهُ وَكَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ الرَّدَّ.

وَبِرَغْمِ أَنَّ الْمَلِكَ سَأَلَهُ عَمَّا يُرِيدُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ ظَلَّ صَامِتًا، حَتَّى بَعْدَ أَنْ أَحْضَرَ الْمَلِكُ لَهُ الْكَثِيرِينَ مِنْ وُزَرَائِهِ وَحُكَمَائِهِ لِلتَّفَاهُمِ مَعَهُ. وَعِنْدَمَا يَئِسَ الْمَلِكُ مِنْ فَهْمِ رِسَالَةِ هَذَا الْمَبْعُوثِ أَرْسَلَ رِجَالًا مِنْ حَاشِيَتِهِ يَبْحَثُونَ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا عَنْ رَجُلٍ حَكِيمٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُفَسِّرَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ.

سَارَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ مِنْ مُدُنٍ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ، يَسْأَلُونَ الْفَلَاسِفَةَ

وَالْحُكَمَاءَ، وَيَسْتَشِيرُونَ الشُّيُوخَ الْمُعَمَّرِينَ، دُونَ أَنْ يَعْثُرُوا عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يَسْتَطِيعُ تَفْسِيرَ مَا فَعَلَهُ الْمَبْعُوثُ الْغَرِيبُ.

وَعِنْدَمَا أَوْشَكُوا عَلَى الْيَأْسِ رَأَوْا مَنْزِلًا وَحِيدًا وَسَطَ حَقْلٍ فَسِيحٍ، فَحَدَّثَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ بِأَنْ يَتَّجِهُوا إِلَيْهِ، وَعِنْدَمَا بَلَغُوهُ وَجَدُوهُ مَفْتُوحَ الْأَبْوَابِ فَدَخَلُوا، وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا أَحَدًا صَعِدُوا سَطْحَ الْمَنْزِلِ، فَرَأَوْا هُنَاكَ مَا أَثَارَ عَجَبَهُمْ؛ حَيْثُ كَانَتْ حُبُوبُ الْقَمْحِ مَنْثُورَةً عَلَى السَّطْحِ لِتَجِفَّ، وَالْعَصَافِيرُ تَطِيرُ مِنْ حَوْلِهَا دُونَ أَنْ تَجْرُؤَ عَلَى الْتِقَاطِهَا وَأَكْلِهَا، وَهَذَا بِسَبَبِ عُودِ بُوصٍ (عُودٍ مِنْ قَصَبٍ) كَانَ يَتَحَرَّكُ وَحْدَهُ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيُخِيفُ الْعَصَافِيرَ وَيُبْعِدُهَا. وَعَلَى السَّطْحِ رَأَوْا غُرْفَةً صَغِيرَةً، فَدَقُّوا بَابَهَا وَدَخَلُوا، وَهُنَاكَ وَجَدُوا نَسَّاجًا فَقِيرًا عَجُوزًا يَجْلِسُ إِلَى نَوْلِهِ، وَكَانَ عِنْدَمَا يَنْسِجُ تَتَحَرَّكُ الْخُيُوطُ، وَقَدْ رَبَطَ خَيْطًا مِنْهَا بِعُودِ الْبُوصِ الَّذِي يَتَحَرَّكُ كُلَّمَا حَرَّكَ النَّسَّاجُ خُيُوطَهُ عَلَى النَّوْلِ، وَهَكَذَا كَانَ يُخِيفُ الْعَصَافِيرَ فَلَا تَأْكُلُ مَحْصُولَ قَمْحِهِ، فَأَدْرَكَ الرِّجَالُ عِنْدَهَا أَنَّ هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الْمَطْلُوبُ.

فِي قَصْرِ الْمَلِكِ اسْتَدْعَوُا الْمَبْعُوثَ الصَّامِتَ الْغَرِيبَ، وَجَاءَ النَّسَّاجُ الْفَقِيرُ الْعَجُوزُ، وَعِنْدَمَا رَأَى الدَّائِرَةَ الْمَرْسُومَةَ بِالطَّبَاشِيرِ حَوْلَ عَرْشِ الْمَلِكِ، ضَحِكَ وَأَخْرَجَ مِنْ جِرَابِهِ دُمْيَةَ أَطْفَالٍ وَأَلْقَى بِهَا عِنْدَ قَدَمَيْ هَذَا الْمَبْعُوثِ.

احْتَقَنَ وَجْهُ الْمَبْعُوثِ بِحُمْرَةِ الْغَضَبِ، وَبِدُونِ أَنْ يَنْطِقَ حَرْفًا أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ حَفْنَةً كَبِيرَةً مِنْ حُبُوبِ الذُّرَةِ وَنَثَرَهَا عَلَى الْأَرْضِ. وَهُنَا ابْتَسَمَ النَّسَّاجُ الْعَجُوزُ، وَأَخْرَجَ مِنْ جِرَابِهِ دَجَاجَةً صَغِيرَةً وَتَرَكَهَا تَلْتَقِطُ حُبُوبَ الذُّرَةِ حَتَّى أَتَتْ عَلَيْهَا كُلِّهَا. وَهُنَا طَأْطَأَ الْمَبْعُوثُ الْأَجْنَبِيُّ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ بِالذَّهَابِ مِنَ الْقَصْرِ، دُونَ أَنْ يَقْطَعَ صَمْتَهُ الطَّوِيلَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَمَا إِنْ خَرَجَ الْمَبْعُوثُ حَتَّى قَالَ الْمَلِكُ:

«اشْرَحْ لَنَا مَاذَا كَانَ يُرِيدُ، وَلَا تُخْفِ عَنَّا شَيْئًا».

فَقَالَ النَّسَّاجُ:

«كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَكَ يَــا مَوْلَانَا الْمَلِكَ إِنَّ مَلِكَ بِلَادِهِ يُرِيدُ مُحَارَبَتَكُمْ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ تَسْتَسْلِمُوا لَهُ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ سَيُحَاصِرُكُمْ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَهَذَا مَعْنَى الدَّائِرَةِ الَّتِي رَسَــمَهَا حَوْلَ عَرْشِ جَلَالَتِكُمْ. أَمَّا الدُّمْيَةُ الَّتِي أَلْقَيْتُ بِهَا نَحْوَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَهُ إِنَّهُــمْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَطْفَالِ، فَلْيَقْعُدُوا فِي بُيُوتِهِمْ وَيَأْخُذُوا هَذِهِ الدُّمْيَةَ لِيَلْعَبُوا بِهَا. فَأَلْقَى هُوَ بِحُبُوبِ الذُّرَةِ، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ عَدَدَهُمْ كَثِيرٌ وَجَيْشَــهُمْ جَرَّارٌ مِثْلُ حَبَّــاتِ الذُّرَةِ، فَأَخْرَجْتُ لَهُ الدَّجَاجَةَ لِتَأْكُلَ حُبُوبَهُ، وَكَأَنَّنِي أَقُولُ لَهُ إِنَّنَا سَــوْفَ نَأْكُلُهُمْ مِثْلَمَا تَأْكُلُ هَذِهِ الدَّجَاجَةُ حُبُوبَ الذُّرَةِ.

سُــرَّ الْمَلِكُ سُرُورًا كَبِيرًا بِحِكْمَةِ هَذَا النَّسَّاجِ اللَّبِيبِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ الْهَدَايَا وَالْعَطَايَا، وَأَمَرَ بِتَسْــجِيلِ هَــذِهِ الْحِكَايَةِ لِتُحْفَظَ فِي أَفْهَــامِ الْأَجْيَالِ التَّالِيَةِ، وَأَسْمَوْهَا حِكَايَةَ النَّسَّاجِ اللَّبِيبِ؛ لِأَنَّ اللَّبِيبَ بِالْإِشَارَةِ يَفْهَمُ.

جَبَلُ الشُّيُوخِ

فِي جِبَالِ الْقُوقَــازِ، فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ، كَانَتْ تَعِيشُ قَبَائِلُ الْكَبَارِدَةِ، وَكَانُوا قَوْمًا شُرَفَاءَ وَشُــجْعَانًا، لَوْلَا أَنَّهُمْ تَوَارَثُوا عَادَةً ذَمِيمَةً جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَهِيَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، يَأْخُذُهُ أَكْبَرُ أَبْنَائِهِ إِلَى أَعْلَى جَبَلٍ وَيَتْرُكُهُ هُنَاكَ؛ لِيُلَاقِيَ الْمَوْتَ وَحْدَهُ، بِمَا أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ مُفِيدًا لِلْحَيَاةِ!!

وَظَلَّتْ قَبَائِلُ الْكَبَارِدَةِ تَمْضِي عَلَى هَذَا الْحَالِ السَّيِّئِ، حَتَّى جَاءَ الدَّوْرُ عَلَى شَــيْخِ الْقَبِيلَةِ الْعَجُوزِ، فَأَخَذَهُ ابْنُهُ الْبَطَلُ الشُّجَاعُ «بَادِينُوكُو» إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ لِيَتْرُكَهُ هُنَاكَ، لَكِنَّ الشَّابَّ الشُّجَاعَ رَقَّ فُؤَادُهُ لِوَالِدِهِ، وَتَوَصَّلَ إِلَى حَلٍّ بَسِيطٍ، وَهُوَ أَنْ يَتْرُكَ وَالِدَهُ فِي مَغَارَةٍ آمِنَةٍ بِالْجَبَلِ، وَيُشْعِلَ لَهُ النَّارَ عَلَى بَابِهَا؛ لِيُخِيفَ الضَّوَارِيَ وَالْوُحُــوشَ، وَيُحْضِرَ لَهُ كُلَّ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَــةٍ حَاجَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وغَيْرِ ذَلِكَ.

وَذَاتَ مَرَّةٍ دَخَلَ الشَّــابُّ عَلَى أَبِيهِ فِي الْمَغَارَةِ مَهْمُومًــا مَحْزُونًا، وَعِنْدَمَا سَــأَلَهُ وَالِدُهُ عَنِ السَّبَبِ أَخْبَرَهُ بِأَنَّ أَشْــجَارَ الْقَبِيلَةِ مِنَ التُّفَّاحِ وَالْكُمَّثْرَى لَمْ تُثْمِرْ ثَمَرَةً وَاحِدَةً مُنْذُ شُهُورٍ طَوِيلَةٍ. صَمَتَ الْأَبُ الشَّيْخُ فَتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ، ثُمَّ وَصَفَ لابْنِهِ الطَّرِيقَ نَحْوَ بُسْــتَانٍ مِنَ التُّفَّاحِ وَالْكُمَّثْرَى أَسْفَلَ سَفْحِ الْجَبَلِ، وَأَوْصَاهُ بِأَنْ يَجْمَعَ مِنْهُ بَعْضَ الثِّمَارِ وَيَزْرَعَهَا فِي أَرْضٍ جَدِيدَةٍ.

عَمِــلَ «بَادِينُوكُو» بِنَصِيحَةِ وَالِدِهِ، وَمَا هِيَ إِلَّا شُــهُورٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى أَثْمَرَتِ

الْأَشْجَارُ الشَّابَّةُ ثِمَارًا جَمِيلَةً.

وَذَاتَ يَوْمٍ، وَبَعْدَ سَنَواتٍ قَلِيلَةٍ، عَادَ الابْنُ إِلَى أَبِيهِ مَهْمُومًا وَمَحْزُونًا أَكْثَرَ مِنَ الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، فَسَـأَلَهُ الْأَبُ عَنْ سِرِّ حُزْنِهِ. فَحَكَى لَهُ الْابْنُ كَيْفَ جَفَّتْ عُيُونُ الْمَاءِ فِي كُلِّ أَرَاضِي الْقَبِيلَةِ، وَصَارَ الْجَفَافُ يَزْحَفُ عَلَيْهِمْ مُهَدِّدًا، بَعْدَ أَنْ تَوَقَّفَتِ الْأَمْطَارُ لأَكْثَرَ مِنْ مَوْسِمٍ، وَمَا عَادَ النَّاسُ يَجِدُونَ قَطْرَةَ مَاءٍ وَاحِدَةً إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ!

هَوَّنَ الْأَبُ الْعَجُوزُ عَلَى ابْنِهِ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحَلَّ مَوْجُودٌ بِإِذْنِ اللهِ، وَأَنَّ الْمَاءَ مَوْجُودٌ، وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ. انْتَبَهَ الْابِنُ وَسَأَلَهُ:

«وَلَكِنْ أَيْنَ يُوجَدُ الْمَاءُ؟».

فَقَالَ الْأَبُ:

«عَلَى قِمَمِ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ، هُنَاكَ بُحَيْرَةٌ كَبِيرَةٌ مُتَجَمِّدَةٌ فِي مِنْطَقَةِ الثُّلُوجِ الْقَدِيمَةِ. وَكُلُّ مَا عَلَيْكَ هُوَ أَنْ تَأْخُذَ مَعَكَ بَعْضَ الرِّجَالِ الْأَشِدَّاءِ الْأَقْوِيَاءِ، وَتُشْعِلُوا النِّيرَانَ مِنْ حَوْلِ الْبُحَيْرَةِ حَتَّى يَذُوبَ جَلِيدُهَا وَيَصِيرَ مَاءً، وَبَعْدَ هَذَا تَحْفِرُونَ قَنَاةً صَغِيرَةً مِنَ الْبُحَيْرَةِ إِلَى أَرْضِ الْقَبِيلَةِ، عَلَى طُولِ انْحِدَارِ الْجَبَلِ، وَمِنْهَا سَوْفَ يَتَدَفَّقُ الْمَاءُ الْعَذْبُ إِلَيْكُمْ مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ».

تَنَاوَلَ الابْنُ يَدَ أَبِيهِ وَقَبَّلَهَا، وَأَسْرَعَ لِتَنْفِيذِ مَا نَصَحَهُ بِهِ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ. كَانَتْ هَذِهِ مُهِمَّةً شَاقَّةً، وَاسْتَغْرَقَتْ وَقْتًا طَوِيلًا وَمَجْهُودًا كَبِيرًا، حَتَّى تَدَفَّقَ مَاءُ الْبُحَيْرَةِ الْمُتَجَمِّدُ عَلَى طُولِ الْقَنَاةِ عَذْبًا رَقْرَاقًا نَحْوَ يَنَابِيعِ الْقَبِيلَةِ.

وَهُنَاكَ اسْتَقْبَلَتْهُ النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ بِالزَّغَارِيدِ وَالْأَفْرَاحِ، بَعْدَ أَنْ كَادُوا يَهْلِكُونَ مِنَ الْعَطَشِ هُمْ وَمَاشِيَتُهُمْ وَزَرْعُهُمْ.

وَعِنْدَئِذٍ الْتَفَّ جَمِيعُ أَبْنَاءِ الْقَبِيلَةِ حَوْلَ رَئِيسِهَا «بَادِينُو كُو»؛ لأَنَّهُ بَطَلُهُمُ الَّذِي أَنْقَذَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ، وَأَخَذُوا يُقَدِّمُونَ لَهُ الْمَدِيحَ وَالثَّنَاءَ وَالْهُتَافَ، لَكِنَّهُ شَكَرَهُمْ قَائِلًا:

«أَنَا لَا أَسْتَحِقُّ هَذَا الثَّنَاءَ، فَأَنَا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا. مُشْكِلَةُ أَشْجَارِ التُّفَّاحِ وَالْكُمَّثْرَى لَمْ أَحُلَّهَا بِنَفْسِي، وَلَمْ أُفَكِّرْ يَوْمًا فِي شَقِّ قَنَاةٍ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ حَتَّى أَرْضِ الْقَبِيلَةِ، لَكِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأَفْكَارِ كَانَتْ أَفْكَارَ أَبِي الشَّيْخِ الْعَجُوزِ، وَهُوَ مَازَالَ حَيًّا فِي مَغَارَةٍ بِجَبَلِ الشُّيُوخِ، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ وَالْمَدِيحَ وَالثَّنَاءَ فَهُوَ وَالِدِي الْعَظِيمُ، الَّذِي كَانَ أَنْفَعَ وَأَفْيَدَ لَنَا مِنْ جَمِيعِ شَبَابِ وَرِجَالِ الْقَبِيلَةِ الْأَشِدَّاءِ».

وفِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ ورَائِعٍ عَادَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ إِلَى قَبِيلَتِهِ، وَكَانَ لَهُ الْفَضْلُ فِي أَنْ يَتَخَلَّى أَهْلُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ عَنْ عَادَتِهِمُ الذَّمِيمَةِ فِي التَّخَلُّصِ مِنْ شُيُوخِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَنَّهُمْ بِهَذَا يَتَخَلَّصُونَ أَيْضًا مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ الرَّشِيدِ، وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمَا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ.

أُسْطُورَةُ التَّوْأَمَيْنِ

فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ يَحْكِي الْعَجَائِزُ فِي بِلَادِ أَفْرِيقيَا أُسْطُورَةً خُرَافِيَّةً عَنْ تَوْأَمَيْنِ، وُلِدَا لامْرَأَةٍ فَقِيرَةٍ بِكُوخٍ فَقِيرٍ، وَعِنْدَ وِلَادَتِهِمَا مَرَّ بِقَرْيَتِهَا شَيْخٌ طَيِّبٌ أَهْدَاهَا حَجَرَيْنِ كَرِيمَيْنِ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تُعَلِّقَ كُلَّ حَجَرٍ فِي عُنُقِ كُلِّ وَلَدٍ مِنْ وَلَدَيْهَا؛ لِيَكُونَ حَارِسًا لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، مُؤَكِّدًا لَهَا أَنْ تَجْعَلَهُمَا لَا يَخْلَعَانِ هَذِهِ التَّمِيمَةَ بِالْمَرَّةِ، مَهْمَا حَدَثَ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ وَالسَّنَوَاتُ، وَكَبِرَ التَّوْأَمَانِ وَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمَا شَابًّا قَوِيَّ الْجِسْمِ شُجَاعَ الْقَلْبِ، وَفَارِسًا حَقِيقِيًّا. وَبَيْنَمَا كَانَ أَحَدُهُمَا، وَاسْمُهُ «لُويمْبَا»، هَانِئًا فِي حَيَاتِهِ بِقَرْيَتِهِ الْفَقِيرَةِ، سَعِيدًا بِهَا كُلَّ السَّعَادَةِ، كَانَ أَخُوهُ التَّوْأَمُ «بَافُونْجُو» يَشْتَاقُ لِلسَّفَرِ وَالْمُغَامَرَاتِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ انْطَلَقَ «بَافُونْجُو» الْمُغَامِرُ فِي الْبِلَادِ وَالصَّحَارِي وَالْغَابَاتِ، يَرَى بَشَرًا وَأُنَاسًا مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الأَفْرِيقِيَّةِ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ يَتَنَاوَلُ زَادَهُ الْقَلِيلَ

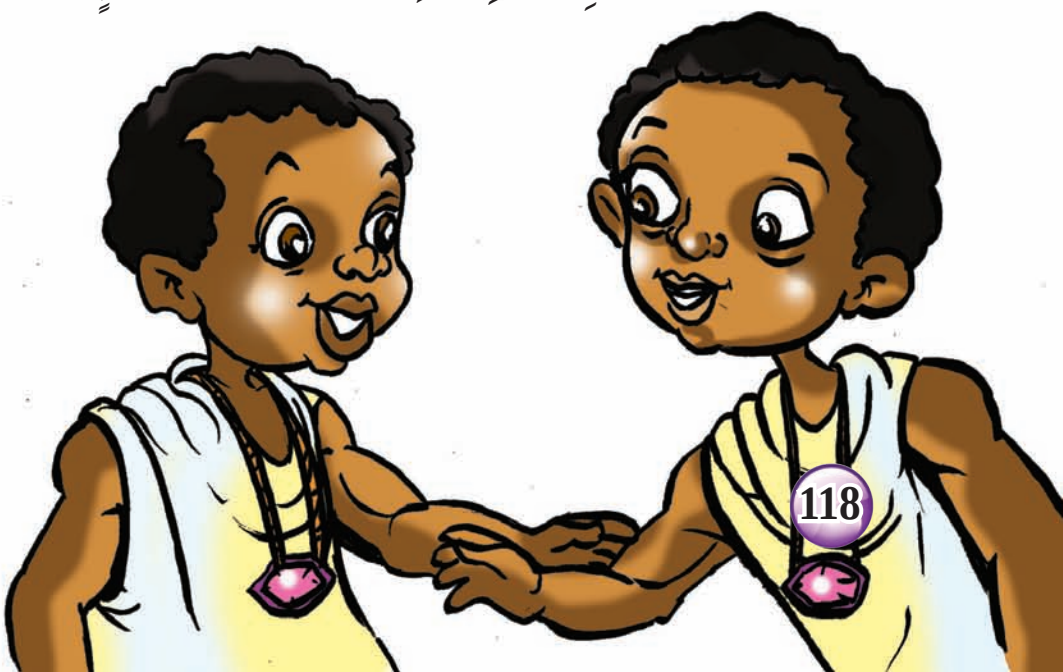

قُرْبَ نَبْعٍ فِي غَابَةٍ، فَسَمِعَ صَوْتَ ضَحِكَاتِ فَتَيَاتٍ أَفْرِيقِيَّاتٍ، فَرَاحَ يَخْتَلِسُ النَّظَرَ إِلَيْهِنَّ، وَقَدْ خَلَبَتْ لُبَّهُ إِحْدَاهُنَّ، وكَانَتْ تَلْبَسُ مَلَابِسَ أَمِيرَةٍ. وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِنَّ أَسَدٌ كَاسِرٌ، فَاسْتَلَّ «بَافُونْجُو» سَيْفَهُ فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْأَسَدِ، وَغَمَدَ سَيْفَهُ فِي قَلْبِهِ، فَصَاحَ الْأَسَدُ صَيْحَةَ الْمَوْتِ.

تَشَجَّعَتِ الْفَتَيَاتُ، واقْتَرَبْنَ مِنَ الْفَارِسِ بَعْدَ مَوْتِ الْأَسَدِ، وَأَصَرَّتِ الأَمِيرَةُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ مَعَهُنَّ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا الْمَلِكِ؛ لِيُعَالِجُوهُ مِنَ الْجِرَاحِ الَّتِي تَرَكَهَا الْأَسَدُ فِي جَسَدِهِ. وَحِينَ دَخَلَتِ الْفَتَاةُ عَلَى أَبِيهَا فِي مَجْلِسِهِ قَالَتْ لَهُ:

«هَذَا الْفَارِسُ الشُّجَاعُ أَنْقَذَنِي أَنَا وَوَصِيفَاتِي مِنْ أَسَدٍ رَهِيبٍ، وَقَدْ وَهَبْتُ لَهُ حَيَاتِيَ الَّتِي أَنْقَذَهَا، فَاجْعَلْهُ زَوْجًا لِي وَإِلَّا أَمُوتُ مِنْ حَسْرَتِي».

مَرَّ «بَافُونْجُو» بِاخْتِبَارَاتٍ عَدِيدَةٍ جَعَلَهُ الْمَلِكُ يَخْضَعُ لَهَا لِإِثْبَاتِ شَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَفِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ زَوَّجَهُ مِنَ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ «بَافُونْجُو»

جَنَاحَ أَمِيرَتِهِ وَزَوْجَتِهِ رَأَى شَيْئًا غَرِيبًا أَثَارَ دَهْشَتَهُ؛ رَأَى ثَلَاثَ مَرَايَا كَبِيرَةٍ، وَعَلَى كُلِّ مِرْآةٍ سِتَارَةٌ سَوْدَاءُ مِنْ حَرِيرٍ، فَسَأَلَ زَوْجَتَهُ عَنِ السِّرِّ فِي ذَلِكَ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا مَرَايَا مَسْحُورَةٌ، لا يَنْظُرُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا وَيَخْتَفِي عَلَى الْفَوْرِ! فِي الْمِرْآةِ الْأُولَى يَرَى الْمَرْءُ الْمَكَانَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ، وَفِي الثَّانِيَةِ يَرَى جَمِيعَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي مَرَّ بِهَا فِي حَيَاتِهِ، أَمَّا فِي الثَّالِثَةِ فَيَرَى الْمَكَانَ الَّذِي سَيَذْهَبُ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعَ الرُّجُوعَ مِنْهُ، وَهَكَذَا يَخْتَفِي فِي الْحَالِ دُونَ أَثَرٍ!!

وَذَاتَ لَيْلَةٍ لَمْ يَسْتَطِعْ «بَافُونْجُو» الصُّمُودَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا أَمَامَ تَجْرِبَةِ مُغَامَرَةِ الْمَرَايَا، فَنَهَضَ مِنْ فِرَاشِهِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَكَشَفَ السَّتَائِرَ السَّوْدَاءَ الْمُسْدَلَةَ عَلَى الْمَرَايَا، وَتَطَلَّعَ وَهُوَ مُمْسِكٌ بِالشُّمُوعِ نَحْوَ الْأُولَى فَرَأَى الْقَرْيَةَ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، وَالْكُوخَ الْفَقِيرَ الَّذِي تَرَبَّى فِيهِ هُوَ وَتَوْأَمُهُ الْعَزِيزُ «لُوِيمْبَا»، وَفِي الْمِرْآةِ الثَّانِيَةِ رَأَى جَمِيعَ الْقُرَى وَالْمَمَالِكِ الَّتِي مَرَّ بِهَا فِي سَفَرِهِ، حَتَّى هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ الْغَنِيَّةِ السَّعِيدَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا مَعَ زَوْجَتِهِ الْأَمِيرَةِ.

ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنَ الْمِرْآةِ الثَّالِثَةِ وَكَشَفَهَا فَرَأَى وَادِيًا مُقْفِرًا وَأَرْضًا خَرَابًا، وَفِي الْمُنْتَصَفِ رَأَى امْرَأَةً عَجُوزًا مُلْتَفَّةً بِالْأَغْطِيَةِ، وَمَا إِنْ رَفَعَتْ نَظَرَهَا نَحْوَهُ، حَتَّى صَارَ «بَافُونْجُو» بِدَاخِلِ هَذَا الْمَكَانِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ وَاقِفًا أَمَامَ الْمِرْآةِ! ثُمَّ طَلَبَتْ مِنْهُ الْعَجُوزُ أَنْ يُسَاعِدَهَا عَلَى النُّهُوضِ، فَمَدَّ لَهَا يَدَهُ، لَكِنَّهَا أَبْعَدَتْ يَدَهَا عَلَى الْفَوْرِ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَوَّلًا أَنْ يَخْلَعَ التَّمِيمَةَ السِّحْرِيَّةَ الْمُعَلَّقَةَ فِي رَقَبَتِهِ؛ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ مُسَاعَدَتِهَا، وَزَعَمَتْ لَهُ أَنَّ التَّمِيمَةَ هِيَ السَّبَبُ فِي عَدَمِ قُدْرَتِهَا عَلَى النُّهُوضِ، وَعَلَى الْفَوْرِ خَلَعَ «بَافُونْجُو» التَّمِيمَةَ، وَأَمْسَكَ

بِيَدِ السَّـــاحِرَةِ، فَتَحَوَّلَ إِلَى حَجَرٍ أَبْيَضَ! أَمْسَـــكَتْ بِهِ بَيْـــنَ يَدَيْهَا وَأَلْقَتْ بِهِ عَلَى كَوْمَةٍ مِـــنَ الْأَحْجَارِ الْبَيْضَاءِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا، وَأَخَذَتْ تَضْحَكُ ضَحِكَاتٍ شِرِّيرَةً، لَكِنَّ الْأُسْطُورَةَ الْعَجِيبَةَ لَمْ تَنْتَهِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ؛ لِأَنَّ السَّاحِرَةَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّ لَهُ أَخًا تَوْأَمًا يَشْـــعُرُ بِكُلِّ مَا يَشْـــعُرُ بِهِ أَخُوهُ، حَتَّى لَوْ فَرَّقَتْ بَيْنَهُمَا الْبِلَادُ وَالْمَسَافَاتُ.

عَوْدَةُ التَوْأَمَيْنِ

اسْتَيْقَظَ «لُوِيمْبَا» مِنْ نَوْمِهِ مَفْزُوعًا بَعْدَ أَنْ رَأَى فِي حُلْمِهِ أَخَاهُ التَّوْأَمَ الْحَبِيبَ يُنَادِيهِ مُسْتَنْجِدًا وَمُسْتَغِيثًا بِهِ مِنَ السِّجْنِ الَّذِي وَجَدَ نَفْسَهُ فِيهِ، فَرَوَى عَلَى أُمِّهِ الْحُلْمَ الْقَبِيحَ الَّذِي رَآهُ، وَاسْتَأْذَنَهَا فِي الْخُرُوجِ بَحْثًا عَنْ أَخِيهِ وَإِنْقَاذِهِ، فَأَذِنَتْ لَهُ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَتْهُ أَلَّا يَخْلَعَ الْقِلَادَةَ مِنْ عُنُقِهِ أَبَدًا مَهْمَا حَدَثَ، فَوَعَدَهَا بِذَلِكَ.

انْطَلَقَ «لُوِيمْبَا» فِي الْبِلَادِ وَالْغَابَاتِ وَالْقُرَى وَالصَّحَارِي، وَمِثْلَ أَخِيهِ الْتَقَى بِأَشْخَاصٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْكَالِ وَالْقَبَائِلِ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْمَمْلَكَةِ الَّتِي انْتَهَتْ رِحْلَةُ أَخِيهِ بِهَا. وَعِنْدَمَا رَآهُ بَعْضُ الْفَلَّاحِينَ وَالْعَبِيدِ أَخَذُوا يَصِيحُونَ:

«لَقَدْ عَادَ الْفَارِسُ الشُّجَاعُ «بَافُونْجُو» زَوْجُ أَمِيرَتِنَا الْجَمِيلَةِ».

وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ فِي الْقَصْرِ، بِصُحْبَةِ الْمَلِكِ وَالْأَمِيرَةِ، فَاعْتَرَفَ لَهُمْ جَمِيعًا بِأَنَّهُ

لَيْسَ «بَافُونْجُو» الشُّجَاعَ وَلَكِنْ أَخُوهُ التَّوْأَمُ «لُوِيمْبَا»، وَأَنَّهُ مَا جَاءَ إِلَّا لِيَعْرِفَ سِرَّ غِيَابِ أَخِيهِ الْحَبِيبِ، بَعْدَ أَنْ رَآهُ فِي الْمَنَامِ يَصْرُخُ مَسْجُونًا مِسْكِينًا. وَهُنَا حَكَتْ لَهُ الأَمِيرَةُ مَا جَرَى لأَخِيهِ، وَكَيْفَ اخْتَفَى ذَاتَ لَيْلَةٍ بَعْدَ أَنْ تَطَلَّعَ فِي الْمَرَايَا الثَّلاثِ الْمَسْحُورَةِ، فَقَرَّرَ «لُوِيمْبا» الشُّجَاعُ الْمُخْلِصُ لأَخِيهِ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي تَتَبُّعِ خُطَاهُ حَتَّى وَلَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ حَيَاتَهُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْجَمِيعَ حَذَّرُوهُ مِنْ تِلْكَ الْمَرَايَا، لَكِنَّهُ قَالَ بِبَسَاطَةٍ إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُنْقِذَ أَخَاهُ أَوْ يَكُونَ مَعَهُ حَيْثُ يَكُونُ.

وَهَكَذَا وَقَفَ «لُوِيمْبا» أَمَامَ الْمِرْآةِ الأُولَى ثُمَّ الثَّانِيَةِ، فَرَأَى مِثْلَمَا رَأَى أَخُوهُ مِنْ قَبْلِهِ، حَتَّى كَشَفَ السِّتَارَ الْحَرِيرِيَّ الأَسْوَدَ عَنِ الْمِرْآةِ الثَّالِثَةِ، فَرَأَى الأَرْضَ الْخَرَابَ الْمَهْجُورَةَ نَفْسَهَا، وَفِي الْمُنْتَصَفِ تَجْلِسُ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ الشِّرِّيرَةُ، وَهِيَ تَبْكِي وَتَنْتَحِبُ بِصَوْتٍ يُمَزِّقُ الْقُلُوبَ. وَعِنْدَمَا انْتَبَهَتْ لِوُجُودِ ضَحِيَّةٍ

جَدِيدَةٍ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا، وَفِي الْحَالِ وَجَدَ «لُوِيمْبا» نَفْسَــهُ بِدَاخِلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ الرَّهِيبِ الْبَشِعِ، فَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ الْعَجُوزُ أَنْ يُسَاعِدَهَا عَلَى النُّهُوضِ مِنْ مَكَانِهَا، فَمَدَّ «لُوِيمْبــا» الطَّيِّبُ يَدَهُ إِلَيْهَا، لَكِنَّهَا أَبْعَدَتْ يَدَهَا عَلَى الْفَوْرِ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَخْلَعَ التَّمِيمَةَ السِّحْرِيَّةَ الْمُعَلَّقَةَ فِي رَقَبَتِهِ؛ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ مُسَاعَدَتِهَا.

لَكِــنَّ «لُوِيمْبا» تَذَكَّرَ وَصِيَّةَ أُمِّــهِ لَهُ، وَالْوَعْدَ الَّذِي قَطَعَهُ عَلَى نَفْسِــهِ بِأَلَّا يَنْزِعَهَا مِنْ عُنُقِهِ أَبَدًا، فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَــكَ بِالْمَرْأَةِ بِقُــوَّةٍ لِيُنْهِضَهَا، فَصَرَخَتْ وَتَحَوَّلَــتْ فِي الْحَالِ إِلَى حَيَّةٍ كَبِيرَةٍ بَشِــعَةِ الْمَظْهَرِ، وَهَاجَمَتْــهُ، لَكِنَّهُ فَصَلَ رَأْسَهَا عَنْ جِسْــمِهَا بِسَيْفِهِ، فَصَارَتْ خَشَبًا أَسْــوَدَ مُتَفَحِّمًا فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، وَهُنَا انْفَكَّ سِــحْرُ السَّاحِرَةِ الشِّــرِّيرَةِ، وَتَحَوَّلَتْ كَوْمَةُ الْحِجَارَةِ الْبَيْضَاءِ إِلَى رِجَالٍ وَفُرْسَانٍ شُــجْعَانٍ، كَانُوا جَمِيعًا قَدْ وَقَعُوا فِي أَسْرِ تِلْكَ السَّاحِرَةِ، بَعْدَ أَنْ تَطَلَّعُوا فِي الْمِرْآةِ الثَّالِثَةِ.

عَثَرَ «لُوِيمْبــا» عَلَى أَخِيــهِ «بافُونْجُو» بِسُــرْعَةٍ، بَيْنَ الْآخَرِينَ، وَشَــكَرَ «بافُونْجُو» أَخَاهُ الشُّــجَاعَ عَلَى مُخَاطَرَتِهِ بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِ إِنْقَاذِهِ. وَلَمْ يُضَيِّعِ التَّوْأَمَانِ الْوَقْتَ فَاتَّجَهَا مِــنْ فَوْرِهِمَا إِلَى قَرْيَتِهِمَا الْفَقِيرَةِ وَإِلَى أُمِّهِمَا الْعَجُوزِ الْفَقِيرَةِ. وَكَمْ كَانَتْ سَعَادَتُهَا شَــدِيدَةً عِنْدَمَا رَأَتْهُمَا مِنْ جَدِيدٍ مَعًا، سَالِمَيْنِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَسُــوءٍ، فَتَدَفَّقَتْ مِنْ عَيْنَيْهَا دُمُوعُ الْفَرَحِ، وَكَانَتْ فَرْحَتُهَا أَشَدَّ عِنْدَمَا عَلِمَتْ أَنَّ «بافُونْجُو» قَدْ تَزَوَّجَ مِنِ ابْنَةِ مَلِكٍ لَهُ مَمْلَكَةٌ وَاسِــعَةٌ وَغَنِيَّةٌ، وَأَنَّهُمَا سَيَأْخُذَانِهَا مَعَهُمَا إِلَى هُنَاكَ.

وَعِنْدَمَا وَصَلَ التَّوْأَمَانِ وَأُمُّهُمَا إِلَى الْمَمْلَكَةِ وَجَدُوا الْأَمِيرَةَ حَزِينَةً عَلَى فَقْدِ زَوْجِهَا وأَخِيهِ الْمِسْكِينِ، لَكِنَّهَا كَادَتْ تَطِيرُ فَرَحًا عِنْدَ رُؤْيَتِهَا لَهُمَا، وَأَنْزَلَتِ الْأُمَّ خَيْرَ مَنْزِلٍ. وَأُعْلِنَتِ الْأَفْرَاحُ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْمَمْلَكَةِ.

أَمَّا الْمِرْآةُ فَقَدْ تَحَطَّمَتْ وَصَارَتْ شَـظَايَا صَغِيرَةً مِثْلَ التُّرَابِ، فَكَنَسَتْهَا الرِّيحُ الْقَوِيَّةُ، فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِـهَا الَّتِي ذَهَبَتْ فِيهَا السَّـاحِرَةُ الشِّرِّيرَةُ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ. أَوْ هَذَا مَا تَحْكِيـهِ الْعَجَائِزُ حَوْلَ النِّيرَانِ، فِي لَيَالِي الشِّـتَاءِ فِي أَفْرِيقْيَا الْجَمِيلَةِ.

أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ

س1 : مَنِ الَّذِي صَنَعَ الْمِرْآةَ الْمَسْحُورَةَ لِمَلِكَةِ الْجَلِيدِ؟ وَمَاذَا فَعَلَتْ بِهَا؟ وَلِمَاذَا؟

س2 : مَاذَا تَفْعَلُ شَظَايَا الْمِرْآةِ الْمَسْحُورَةِ بِمَنْ تُصِيبُهُ؟ وَمَاذَا فَعَلَتْ بِـ«كاي»؟

س3 : لِمَاذَا قَرَّرَتْ «جِيرْدَا» أَنْ تَبْحَثَ عَنْ صَدِيقِهَا «كاي»؟ وَمَتَى بَدَأَتِ الْبَحْثَ؟

س4 : كَيْفَ وَصَلَتْ «جِيرْدَا» إِلَى حَدِيقَةِ الْأَزْهَارِ الْمَسْحُورَةِ؟ وَمَاذَا حَدَثَ لَهَا هُنَاكَ؟

س5 : مَا الْحِوَارُ الَّذِي دَارَ بَيْنَ «جِيرْدَا» وَالْغُرَابِ الْحَكِيمِ؟ وَإِلَامَ انْتَهَى هَذَا الْحِوَارُ؟

س6 : مَاذَا قَالَ الْأَمِيرُ الشَّابُّ لِـ«جِيرْدَا» عِنْدَمَا عَلِمَ بِحِكَايَتِهَا؟ وَبِمَ نَصَحَهَا؟

س7 : مَاذَا فَعَلَتِ الْأَمِيرَةُ الْجَمِيلَةُ مَعَ «جِيرْدَا» عِنْدَمَا قَرَّرَتِ الذَّهَابَ إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ وَرَفَضَتْ نَصِيحَةَ زَوْجِهَا الْأَمِيرِ؟

س8 : هَلِ اسْتَطَاعَتْ «جِيرْدَا» تَغْيِيرَ سُلُوكِ وَتَفْكِيرِ اللِّصَّةِ الصَّغِيرَةِ؟ وَكَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟

س9 : كَيْفَ وَصَلَتْ «جِيرْدَا» إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ؟ وَعَلَى أَيِّ هَيْئَةٍ وَجَدَتْ صَدِيقَهَا؟

س10: لِمَاذَا لَمْ يَتَذَكَّرْ «كاي» صَدِيقَتَهُ الْمُخْلِصَةَ «جِيرْدَا» عِنْدَمَا رَآهَا فِي قَصْرِ الْجَلِيدِ؟ وَكَيْفَ سَاعَدَتْهُ «جِيرْدَا» عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا السِّجْنِ؟

س11: مَا الْقَرَارُ الَّذِي اتَّخَذَاهُ طَائِرَا الْبَلَشُونِ بَعْدَ أَنْ جَفَّ مَاءُ الْبُحَيْرَةِ وَقَلَّ الطَّعَامُ؟ وَمَاذَا فَعَلَا مَعَ صَدِيقَتِهِمَا السُّلْحَفَاةِ الْعَجُوزِ؟

س12: مَتَى عَادَ طَائِرَا الْبَلَشُونِ إِلَى مَنْزِلِهِمَا وَوَطَنِهِمَا؟ وَلِمَاذَا أَصَابَتْهُمَا الدَّهْشَةُ؟

س13: مَا السِّرُّ الَّذِي عَرَفَهُ الْحَلَّاقُ عَنِ الْمَلِكِ؟ وَمَاذَا أَعْطَاهُ الْمَلِكُ مُقَابِلَ كِتْمَانِهِ؟

س14: هَلِ اسْتَطَاعَ الْحَلَّاقُ كِتْمَانَ سِرِّ الْمَلِكِ؟ وَلِمَاذَا نَفَاهُ الْمَلِكُ خَارِجَ الْبِلَادِ؟

س15: مَاذَا فَعَلَ النَّاسُ بَعْدَ أَنْ سَكَنَ التِّنِّينُ مَمْلَكَتَهُمْ؟ وَمَاذَا فَعَلَ الْمَلِكُ لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُ؟

س16: إِلَى أَيِّ فِئَةٍ يَنْتَمِي الْمُحَارِبُ «هيتو»؟ وَمَا الَّذِي تَعْرِفُهُ عَنْ هَذِهِ الْفِئَةِ؟

س17: كَيْفَ اسْتَطَاعَ الْمُحَارِبُ «هِيتُو» أَنْ يَقْضِيَ عَلَى التِّنِّينِ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س18: بِمَ كَافَأَ الْمَلِكُ الْمُحَارِبَ «هِيتُو» بَعْدَ قَضَائِهِ عَلَى التِّنِّينِ؟

س19: مَا الْمُشْكِلَةُ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ الشَّقِيقَيْنِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ؟ وَإِلَى مَنْ ذَهَبَا لِيَحُلَّهَا؟

س20: مَاذَا فَعَلَ الْقَاضِي لِيَفْصِلَ فِي الْخُصُومَةِ بَيْنَ الشَّقِيقَيْنِ وَيَحُلَّ الْمُشْكِلَةَ الَّتِي بَيْنَهُمَا؟ وَمَا رَأْيُكَ فِي ذَلِكَ؟

س21: مَا الشَّـرْطُ الْمُسْتَحِيلُ الَّذِي طَلَبَهُ الْقَاضِي مِنَ الْأَخِ الفَقِيرِ لِكَيْ يُعْطِيَهُ الْمُهْرَ؟ وَهَلِ اسْتَطَاعَتِ الْفَتَاةُ الْحَكِيمَةُ تَنْفِيذَهُ؟ وَكَيْفَ؟

س22: كَيْفَ أَخْرَسَتِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ الْقَاضِيَ الظَّالِمَ؟ وَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ هَذَا الْقَاضِي؟

س23: لِمَاذَا خَطَفَ الْغُولُ الأَخَوَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ؟ وَهَلْ تَحَقَّقَ هَدَفُهُ مِنْ وَرَاءِ خَطْفِهِمَا؟

س24: كَيْفَ سَـاعَدَتْ مَعْرِفَةُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ الْأَخَوَيْنِ الصَّغِيرَيْـنِ عَلَى الْفِرَارِ مِنْ كُوخِ الْغُولِ الشِّرِّيرِ؟

س25: مَاذَا فَعَلَ الْفَلَّاحُ الْفَقِيرُ صَاحِبُ أَشْـجَارِ الْكُمَّثْرَى لِكَي يَدْفَعَ الضَّرَائِبَ وَيَنْجُوَ مِنْ عِقَابِ الْمَلِكِ الظَّالِمِ؟ وَمَا رَأْيُكَ فِيمَا فَعَلَهُ؟

س26: مَا الْحُلْمُ الَّذِي رَأَتْهُ فَتَاةُ الْكُمَّثْرَى؟ وَكَيْفَ غَيَّرَ هَذَا الْحُلْمُ حَيَاتَهَا؟

س27: هَلْ عَثَرَتْ فَتَاةُ الْكُمَّثْرَى عَلَى أَبِيهَا وَأُمِّهَا وَإِخْوَتِهَا؟ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟

س28: مَاذَا أَعْطَتْ أُمُّ «بَنَفْسَجَ» لَهَا لِيَنْفَعَهَا فِي رِحْلَتِهَا دَاخِلَ الْغَابَةِ؟ وَبِمَ بَرَّرَتْ ذَلِكَ؟

س29: كَيْفَ انْتَفَعَتْ «بَنَفْسَجُ» بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي أَعْطَتْهَا لَهَا أُمُّهَا فِي رِحْلَتِهَا؟

س30: مَا الْحِيلَةُ الَّتِي فَعَلَهَا الْأَمِيرُ لِكَيْ يَتَزَوَّجَ «بَنَفْسَجَ» بَعْدَ عَوْدَتِهَا بِكَنْزِ السَّاحِرَاتِ؟

س31: مَتَى مَاتَتْ وَالِدَةُ «سَعِيدِ بْنِ نِزَارٍ»؟ وَمَاذَا تَرَكَتْ لَهُ مَعَ وَالِدِهِ؟

س32: كَيْفَ كَانَتْ طُفُولَةُ «سَعِيدِ بْنِ نِزَارٍ»؟ وَمَتَى سَافَرَ فِي أَوَّلِ رِحْلَةٍ تِجَارِيَّةٍ لَهُ؟

س33: مَاذَا حَدَثَ لِلْقَافِلَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا «سَعِيدُ بْنُ نِزَارٍ» عِنْدَ عَوْدَتِهَا إِلَى بِلَادِهَا؟

س34: مَا الطَّرِيقُ الَّذِي اخْتَارَهُ «سَنْهُورُ» ابْنُ كَبِيرِ اللُّصُوصِ لِنَفْسِهِ؟ وَكَيْفَ سَارَ فِيهِ وَتَرَكَ

حَيَاةَ الصَّعْلَكَةِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ؟

س35: مَنِ الَّذِي أَنْقَذَ «سَعِيدَ بْنَ نِزَارٍ» مِنَ الْقَتْلِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ لِلْحُكْمِ بِإِعْدَامِهِ؟

س36: بِمَ نَصَحَتِ الْجِنِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ «سَعِيدَ بْنَ نِزَارٍ» عِنْدَمَا أَرَادَ الْعَوْدَةَ إِلَى أَهْلِهِ وَبَيْتِهِ؟ وَهَلِ اسْتَجَابَ لَهَا؟ وَلِمَاذَا؟

س37: كَيْفَ أَنْقَذَتِ الْجِنِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ حَيَاةَ كُلٍّ مِنْ «سَنْهُورَ» وَ«سَعِيدِ بْنِ نِزَارٍ» دُونَ أَنْ تُخْرِجَهُمَا مِنَ السِّجْنِ؟

س38: مَا الْقَرَارُ الَّذِي اتَّخَذَهُ الْخَلِيفَةُ لِيَحُلَّ مُشْكِلَةَ «سَنْهُورَ» وَ «سَعِيدِ بْنِ نِزَارٍ»؟

س39: لِمَاذَا نَافَقَ الثَّعْلَبُ الْغُرَابَ؟ وَهَلْ حَقَّقَ مَا يُرِيدُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا النِّفَاقِ؟

س40: مَاذَا تَقُولُ لِلذِّئْبِ الَّذِي خُدِعَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟ وَمَاذَا تَسْتَفِيدُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

س41: مَا عَاقِبَةُ الْغُرُورِ وَالتَّكَبُّرِ؟ اشْرَحْ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قِصَّةِ الطَّاوُوسِ الْمَغْرُورِ.

س42: كَيْفَ نَجَا الْقِرْدُ «جُولُو» مِنْ عَائِلَةِ التَّمَاسِيحِ وَهُمْ يُحَاصِرُونَهُ دَاخِلَ جَزِيرَتِهِمْ؟

س43: لِمَاذَا طَلَبَتِ الْقِطَّةُ الْأُمُّ مِنْ أَوْلَادِهَا الثَّلَاثَةِ تِبَاعًا أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْبَيْتِ؟ وَمَنِ الَّذِي حَقَّقَ لَهَا أُمْنِيَّتَهَا؟ وَبِمَ كَافَأَهُ اللهُ؟

س44: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الثُّعْبَانِ وَالتَّاجِرِ الْبَخِيلِ فِي رَدِّ الْجَمِيلِ لِلْحَطَّابِ الْفَقِيرِ؟

س45: هَلْ قَالَ التَّاجِرُ الْبَخِيلُ الْحَقَّ فِي قَضِيَّةِ الْجَوْهَرَةِ؟ وَلِمَاذَا؟ وَكَيْفَ ظَهَرَ الْحَقُّ؟

س46: مَاذَا كَانَ يُرِيدُ الْمَبْعُوثُ الصَّامِتُ؟ وَمَنِ الَّذِي فَهِمَ رِسَالَتَهُ؟ وَكَيْفَ رَدَّ عَلَيْهَا؟

س47: مَا الْعَادَةُ الذَّمِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ تُمَيِّزُ قَبِيلَةَ الْكَبَارِدَةِ؟ وَكَيْفَ تَخَلَّصُوا مِنْهَا؟

س48: كَيْفَ تَزَوَّجَ «بَافُونْجُو» الْأَمِيرَةَ الْجَمِيلَةَ؟ وَمَا الَّذِي جَعَلَهَا تَطْلُبُ مِنْ أَبِيهَا ذَلِكَ؟

س49: مَا حِكَايَةُ الْمَرَايَا الْكَبِيرَةِ دَاخِلَ جَنَاحِ الْأَمِيرَةِ؟ وَمَا حِكَايَةُ «بَافُونْجُو» مَعَهَا؟

س50: كَيْفَ عَرَفَ «لُوِيمْبَا» بِمَا حَدَثَ لِأَخِيهِ «بَافُونْجُو»؟ وَمَاذَا فَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

س51: بِمَ أَوْصَتِ الْأُمُّ «لُوِيمْبَا» عِنْدَمَا خَرَجَ بَحْثًا عَنْ أَخِيهِ «بَافُونْجُو»؟ وَهَلْ حَافَظَ عَلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ؟ وَكَيْفَ كَانَ الْتِزَامُهُ بِهَا سَبَبًا فِي إِنْقَاذِهِ وَإِنْقَاذِ أَخِيهِ مِنْ سِجْنِهِ؟